المدن والبلدات الحضرمية في كتابات الرحالة والجغرافيين
(من القرن 3 – 7هـ/ 9 – 13م)

طه حسين هُديل*

الملخص

تتناول هذه الدراسة تاريخ المدن والبلدات الحضرمية كما جاءت في كتابات الرحالة والجغرافيين، وتحديداً في المدة من القرن 3 – 7 الهجري/ 9 – 13 الميلادي، حيث شكلت وثائق مثل هؤلاء مادة مهمة ومصدر رئيسي يصعب على أي باحث كتابة التاريخ دون العودة لها، لاسيما وأن ما جاء به الرحالة والجغرافيين هو انعكاس لواقع حياة الناس الذين سكنوا وعاشوا واشتغلوا في تلك المدن والبلدات، وقد حاولنا هنا التعمق في كتابات مثل هؤلاء الذين تركوا الجانب السياسي أو جزء كبير منه ليسخروا معلوماتهم لجوانب معينة ومهمة من حياة الناس الخاصة والعامة وثقافتهم، وتركيبتهم القبلية والاجتماعية، وعاداتهم وتقاليدهم، وأهم مدنهم وبلداتهم، وتحديد موقعها وما تميزت به، ونسبة مسمياتها، وطبيعتها الجغرافية، ونمطها في البناء والمعمار، وأهم مقوماتها الاقتصادية، علماً بأن معظم الرحالة والجغرافيين لما يصلوا إلى المناطق والمدن التي كتبوا عنها، ولكنهم اعتمدوا في معلوماتهم على مصادر مختلفة ومتنوعة، منها مؤلفات من سبقهم من المؤرخين والرحالة والجغرافيين والبلدانيين والنسابة واللغويين وغيرهم، ومن اجتمعوا بهم من سكان تلك المناطق في بعض المحطات التجارية، ومواسم الحج والعمرة، والأسواق، والمساجد وغير ذلك، إضافة إلى من زاروها من التجار والمشايخ والعلماء وطلاب العلم الذين شكلوا مصدر لمعلوماتهم بحكم إقامتهم ومعاشرتهم لمجتمعات تلك المدن والبلدات.

المقدمة:

تميَّزت حضرموت بمساحتها المعروفة اليوم بعدد من الصفات، التي قد لا نجدها في غيرها من مناطق الجزيرة العربية وبلداتها الأخرى، وكان للموقع الجغرافي، والتركيبة السكانية له، ونمط حياة الناس وتعاملاتهم، وتفرُّد عمرانهم، والثروات الاقتصادية المختلفة التي احتوتها أرضهم وغير ذلك دور في تفرُّدها وشهرتها التي بلغت الآفاق على مستوى اليمن والبلاد العربية المجاورة لها وما هو أبعد من ذلك، وقد تنوعت المصادر التاريخية التي أمدَّتْنا بالمعلومات المختلفة عن أرض حضرموت ومدنها، وتعدَّدت وجهات نظر مؤلفيها وأخبارهم وجنسيات بعضهم، مما أدى إلى اختلاف مادة هؤلاء التي جمعوها عن حضرموت بموروثها التاريخي العريق، وشجع ذلك على أن تكون أمام أي باحث في تاريخ حضرموت معلومات ليست بالقليلة، يستطيع من خلالها تكوين صورة شبه متكاملة عن المدن التي قامت فيها عبر التاريخ، وحياة سكانها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وما تميزت به واشتهرت في المدة موضوع الدراسة، مع تتبُّع المتغيرات التي شهدتْها تلك المدن والبلدات من قرن إلى آخر.

وبحكم ما تمثله وثائق الرحلات والجغرافيا من أهمية تاريخية فقد حاولنا هنا التعمُّق في كتابات مثل هؤلاء الذين تركوا الجانب السياسي أو جزءًا كبيرًا منه ليسخِّروا معلوماتهم لجوانب معينة ورئيسة من حياة الناس الخاصة والعامة وثقافتهم، وتركيبتهم القبلية والاجتماعية، وعاداتهم وتقاليدهم، وأهم مدنهم وبلداتهم، وتحديد موقعها وما تميزت به، ونسبة مسمَّياتها، وطبيعتها الجغرافية، ونمطها في البناء والتعمير، وأهم مقوماتها الاقتصادية، علمًا أنَّ غالب الرحالة والجغرافيين لمْ يصلوا إلى المناطق والمدن التي كتبوا عنها، ولكنهم اعتمدوا في معلوماتهم على مصادر مختلفة ومتنوعة، منها مؤلفات مَنْ سبقهم من

* أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته ـ كلية الآداب – جامعة عدن

المـؤرِّخين والرحَّالـة والجغـرافيين والبلـدانيين والنَّـسَّابة واللغويين وغيرهم، ومن اجتمعوا بهم من سُكَّان تلك المناطق في بعض المحطات التجارية، ومواسم الحج والعمرة، والأسواق، والمساجد وغير ذلك، إضافة إلى مَنْ زاروها من التُّجَّار والمشايخ والعلماء وطلاب العلم الـذين شـكَّلوا مصـدرًا رئيسًـا للمعلومـة بحكـم إقـامتهم ومعاشرتهم لمجتمعات تلك المدن والبلدات.

وعلـى أيـة حـال، فقد كـان مِنْ أكثر مـا ركـز عليـه الرحَّالـة والجغرافيـون فـي مؤلفـاتهم عـن حضـرموت الحـديث عـن موقعهـا وحـدودها الجغرافيـة، وتسـميتها ونسـبتها، وأهـم المـدن والبلـدات التـي قامـت علـى أرضـها، وموقعهـا وطبيعتهـا، وتركيبتهـا السـكانية والقبليـة، وعـادات أهلهـا وتقاليدهم الموروثـة، ومميزات نمـط بنـاء بعـض المـدن والبلـدات الحضـرميَّة لاسـيما المشـهورة منهـا ومعمارهـا، وأهـم مقوماتهـا الاقتصـادية التجاريـة والزراعيـة والحرفيـة وغيرهـا، وهـو مـا سـوف نتناوله في دراستنا هذه.

المبحث الأول– تسمية حضرموت وموقعها:

كانت حضرموت ضمن مناطق جنوب الجزيرة العربية التي حظيت باهتمام المؤرِّخين الجغرافيين والرحَّالة؛ إذ حـازت تسـميتها وموقعهـا جـزءًا كبيـرًا ممـا دوَّنُـوه مـن معلومـات عنهـا، مـع اجتهـاد بعضـهم فـي هـذا الأمـر، واعتمـاد غيرهم علـى مـا سـمعه مـن روايـات، وهـو مـا حاولْنا البحث عنه وجمعَه لاكتمال مادة هذه الدراسة، مـع تفسـير بعـض وجهـات نظـر الرحالـة والجغـرافيين وتحليلها التي اجتهدوا فيها.

أولًا– تسمية حضرموت:

تؤكِّـدُ أكثـرُ المصـادر الجغرافيـة والبلدانيـة وكتـب الـرحلات أنَّ حضـرموت بمسـاحتها الجغرافيـة الواسـعة المعروفـة اليـوم تُنسَـب إلـى شخصـية تاريخيـة ارتبطـتْ بهـذه المنطقـة، وكـان لهـا دور بـارز فـي عـددٍ مـن الأحـداث التـي شـهدتْها، ومِمَّـن ذكـر ذلـك الجغرافـيُّ الهمدانيُّ (ت بعد: 336هـ/ 947م)[1] الذي أشار إلى أن بلـدة حضـرموت تُـنسَبُ إلـى شـخص يسـمى: حضـرموت بـن حمير الأصـغر، مـن غيـر تقديم أي معلومات شخصيَّة عنه، موضحًا أنَّ اسمَهُ غلب على المنطقة مثله مثل بقية المناطق التي سُمِّيَت بأسماء ساكنيها، حتى أنه قال في ذلك: ((نُسِبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر، فغلب عليها اسمُ سـاكِنِها كمـا قيـل خيـوان ونجـران، والمعنـى بلـد حضـرموت، وبلـد خيـوان ووادي نجـران؛ لأن هـؤلاء رجال نُسِبت إليهم المواضع، وكذلك سمي أكثر بلاد حمير وهمدان بأسماء متوطِّنيها)).

وحـاول الرحَّالـة يـاقوت الحمـوي (ت: 626هـ/ 875م)[2] الاجتهـاد فـي تسـمية حضـرموت، وتفسـير المصـطلح وتركيبتـه، معتمـدًا – فيمـا يبـدو – علـى روايـات لـمْ يُشِـرْ إلـى مصـدرها لاسـيما أنـه لـمْ يَـزُرْ حضـرموت أو يمرَّ بهـا، فقال فـي ذلك: ((حَضْـرَمَوْت بالفتح ثم السكون، وفتح الراء والميم: اسمان مركَّبان، طولهـا إحـدى وسـبعون درجـة، وعرضـها اثنتـا عشـرة درجة، فأما إعرابها فإنْ شئت بنيْتَ الاسمَ الأول على الفتح وأعربتَ الثاني بـإعراب مـا لا ينصـرف، فقلت: هذا حضرَموتُ، وإنْ شئتَ رفعتَ الأولَ في حال الرفعِ وجررْتَـهُ ونصـبْته علـى حسـب العوامـل وأضـفته علـى الثـاني، فقلـت: هـذا حضـرموت، أعربْـتَ حضـرًا وخفضْتَ موتًا، ولك أن تُعرِب الأولَ وتخيّر في الثاني بين الصرف وتركه، ومنهم من يضمُّ مِيمَه فيخرجه مخـرجَ عنكبـوت، وكـذلك القـول فـي سـرّ مـن رأى ورامهرمـز، والنسـبة إليـه حضـرميّ، والتصـغير حضيرموت تصغير الصَّدر منهما، وكذلك الجمع، يقال: فلان من الحضارمة مثل المهالبة، وقيل: سميت بحاضر ميّت وهو أوَّل مَنْ نزلها، ثُمَّ خُفِّفَ بإسقاط الألف، قال ابْنُ الكلبي: اسم حضرموت في التوراة حاضر ميت، وقيل: سُمِّيَتْ بحضرموت بن يقطن بن

عامر بن شالخ، وقيل: اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائلة بن الغوث بن قطن بن عريب ابن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وقيل: حضرموت اسمه عامر بن قحطان، وإنَّما سُمِّيَ حضرموت لأنه كان إذا حضر حربًا أكثر فيها من القتل فلُقِّبَ بذلك، ثم سكّنت الضاد للتخفيف، وقال أبو عبيدة: حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسُمِّي به، فهو اسم موضع واسم قبيلة)).

ويستكمل الرحالة ابن المجاور (ت: 690هـ/ 1291م)[3] التعريف بالاسم ويقول إن تسمية حَضْرَمَوْت جاءت من اسم: حضرموت بن قحطان بن عيبر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، الذي كان يسكن شبام.

وفي الوقت نفسه، أطلق بعض الجغرافيين على حضرموت تسميات أخرى مختلفة في مدوَّناتهم إلى جانب مسماها الرئيس معتمدين في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم، أو كتب السابقين، فدُوِّنت في مؤلفات بعضهم ببلاد الأحقاف[4]، وذهب غيرهم إلى شرح تعريف المصطلح وتحليله، وما جاء عنه في روايات المؤرخين، وكُتب الأولين، فقال البكري (ت: 487هـ/ 1094م)[5] في ذلك: ((الأحقاف التي كانت منازل عاد، اختلف فيها، فقيل: هو جبل بالشام، عن الضّحّاك. وقال مجاهد: الأحقاف حشاف من حسمى؛ هكذا رواه الحربي عنه؛ والحشاف: الحجارة في الموضع السهل. وروى أبو عبيد الهروي عن الأزهري أنه قال: الأحقاف منازل عاد، رمال مستطيلة بشحر عُمان، ويقال للرمل إذا عظم واستدار: حقف؛ وقيل إذا أشرف واعوجّ. قال الهمداني: الأحقاف بحضرموت. قال: وروى ابن الكلبى عن رجاله، عن الأصبغ بن نباتة، قال: كنّا عند علي بن أبي طالب ﷺ في خلافة عمر، فسأل رجلاً عن حضرموت، فقال أعالم أنت بحضرموت؟ قال: إذا جهلتها فما أعلم غيرها. قال: أتعرف موضع الأحقاف؟ قال: كأنّك تسأل عن قبر هود. قال: نعم. قال: خرجت وأنا غلام في أغيلمة من الحي، نريد أن نأتي قبره، لبعد صيته، فسرنا في وادي الأحقاف أيّاماً، وفينا من قد عرف الموضع، حتّى انتهينا إلى كثيب أحمر، فيه كهوف، فانتهى بنا ذلك الرجل إلى كهف منها، فدخلناه، فأمعنّا فيه، فانتهينا إلى حجرين قد أطبق أحدهما فوق الآخر، وفيه خلل يدخل منه الرجل النحيف متجانفا، فرأيت رجلاً على سرير، شديد الأدمة، كثّ اللحية، قد يبس على سريره، وإذا لمست شيئا من جسده وجدته صلبا، وعند رأسه كتاب بالعربيّة: أنا هود النّبيّ الذي آمنت بالله، وأسفت على عاد لكفرها، وما كان لأمر الله من مردّ. قال علي: كذا سمعته من أبى القاسم ﷺ)).

ويذكر ياقوت الحموي[6] الأَحْقَافَ ويقول عنها: ((جمع حقف من الرمل، والعرب تسمّي الرمل المعوجّ حقافًا وأحقافًا، واحقوقف الهلال والرمل إذا اعوجّ، فهذا هو الظاهر في لغتهم، وقد تعسّف غيره، والأحقاف المذكور في الكتاب العزيز: واد بين عمان وأرض مهرة، عن ابن عباس، قال ابن إسحاق: الأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت، وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشّحر من أرض اليمن، وهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى، والصحيح ما رويناه عن ابن عباس وابن إسحاق وقتادة: أنها رمال بأرض اليمن، كانت عاد تنزلها...)).

كما أشار إلى ذلك الرحَّالة ابن المجاور[7] الذي ذكر أن الله (ﷻ) سمَّاها الأحقاف في قصة النبي هود عليه السلام: ﴿ إذ أنذرَ قومَهُ بالأحقافِ ﴾[8]. والأحقاف هذه البلاد والأراضي بعينها، مع أن بعضهم يشير إلى أن صحراء الأحقاف تقع في الجهة الشمالية من حضرموت[9].

ويحدد ياقوت الحموي[10] أرض الأحقاف بمنازل عاد

الأولى التي احتلَّتْ مساحة واسعة من الرمل ما بين عُمان إلى الشحر إلى حضرموت إلى عدن أبين، وكانت منازل عبيل يثرب، ومساكن أميم برمل عالج، وهي أرض وبار كما وصفها.

ومن المسميات العجيبة التي تسمت بها حضرموت وأوردها ابنُ المجاور من دون غيره من الرحَّالة والجغرافيين العرب وغيرهم مسمى: "الوادي المفتون"[11]، وهي تسمية لمْ نجدها إلا عند ابنِ المجاور فقط ولم يذكرها أحد مِمَّن كتبُوا عن حضرموت، من دون أن يوضح ابن المجاور مصدريته لهذه المعلومة التي ستكون ذات أهمية بتحديد مصادرها التاريخية أو الجغرافية.

ثانيًا- الموقع والحدود:

مُيزت حضرموت بموقعها الاستراتيجي المهم على شاطئ المحيط الهندي وبحر العرب، فقيست ضمن حدود الجزيرة العربية عند ياقوت الحموي[12]، الذي حدَّدها من العذيب إلى حضرموت، فكانت ضمن ثلاثة أعمال قسمت بها اليمن من قبل الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبالعودة إلى ما جاء به الجغرافيين الأوائل يوضح المؤرخ والجغرافي ابن خرداذبة (ت: نحو 280هـ/ 893م)[13] ذلك بقوله: ((وكانت أعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة؛ فوال على الجَنَد ومخاليفها وهي أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليفها وهي أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليفها وهي أدناها)). مما يؤكد لنا أن القسم الخاص بحضرموت ضم مساحة جغرافية واسعة تخطَّت أراضي حضرموت لتشمل مخاليف عدَّة دخلت ضمن قسم حضرموت، وبحسب ذلك عُدَّتْ حضرموت تاريخيًا من أهم أقسام اليمن في جنوب الجزيرة العربية بمخاليفها المختلفة، كما أشارت إلى ذلك مصادرُ عِدَّةٌ جغرافية وبلدانية[14].

ويشير الهمداني[15] إلى أن حضرموت تدخل ضمن المساحة المعروفة باليمن كجهة لجنوب الجزيرة العربية، موضحًا ذلك بقوله: ((وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها إلى حضرموت والشِّحر وعُمان وما يليها اليمن، وفيها التهائم والنجد واليمن تجمع ذلك كله. قال أبو محمد: وتأييد ذلك في جميع اليمن لهذه المواضع كتب العهود من الخلائف لولاة صنعاء اليمن ومخاليفها وعكّ وعُمان وحضرموت)).

والمعروف أن حضرموت اليوم تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية، وهي من أكبر أقاليمها ذات الحدود المترامية الأطراف، على الرغم من وصف بعضهم لها بالأصغر، وهذه الصفة من أكثر ما لفت نظر بعض الجغرافيين فدوَّنُوها كمعلومة جغرافية ميَّزت حضرموت من غيرها، فقال عنها الهمداني[16]: ((حضرموت من اليمن، وهي جزؤها الأصغر)). ويبدو أن ذلك يعتمد على المساحة الجغرافية التي عُرِفت بها حضرموت في زمن الهمداني.

وفي موضع سابق يذكر الهمداني[17] امتداد جنوب الجزيرة العربية من عدن غربًا إلى عُمان شرقًا، واصفًا تلك المساحة من عدن بالقليلة، وأنها تتسع أكثر كلما اتجهنا شرقًا إلى حضرموت والمهرة وعُمان، مما يؤكد لنا أن حضرموت كانت ذات مساحة جغرافية واسعة، فقال في ذلك: ((فأمَّا عرضها من أعلاها، فهو بناحية عدن أبين قليل، ثم يزداد فيها السعة أكثر، من ناحية المشرق إلى حضرموت فبلد مهرة فعُمان)). على الرغم من وصفه لها سابقًا بالجزء الأصغر من اليمن، وهنا بالجزء الأوسع مساحة في جنوب شرق الجزيرة العربية، في حين يمد بعض الجغرافيين حدود مأرب حتى حضرموت كمنطقة محاذية لها، كما جاء لدى ابن سعيد المغربي (ت: 685هـ/ 1286م) [18] الذي حدَّد ذلك بحقبة التبابعة، فقال عنها: ((مدينة مأرب المشهورة في زمان التبابعة، وهي آخر جبال حضرموت)).

ويشير الاصطخري (ت: 346هـ/ 957م)[19] وغيره من المؤرخين الجغرافيين إلى موقع حضرموت كجهة شرق عدن، وما تميز به موقعها طبيعيًا، غير أنه يتحدث عنها أيضًا ويعرّفها بأنها مدينة صغيرة لها أعمال عريضة، وعلى ما يبدو أن هذه الأعمال زادت من مساحتها الجغرافية لاحقًا، مع أننا لم نجد مَنْ يذكر أن اسم حضرموت جاء عن اسم مدينة أو قرية سُمِّيت بها المنطقة ككل، مع احتمالية أن يكون اسم حضرموت العام طغى على اسم المدينة الصغيرة التي تمَّت الإشارة إليها، فقال في ذلك: ((وحضرموت في شرقي عدن بقرب البحر، وبها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وحضرموت في نفسها مدينة صغيرة، ولها أعمال عريضة، وبها قبر هود النّبيّ ﷺ وبقربها برهوت بئر عميقة لا يكاد يستطيع أحد أن ينزل إلى قعرها)).

ويجتهد صاحب كتاب: حدود العالم (ت: بعد 372هـ/ 982م) [20] في تعريف حضرموت كمدينة، مشيرًا إلى عادات بعض أهلها وتقاليدهم التي امتازت بالكرم والجود مع كل مَنْ يصل إلى مدنهم وقراهم، فيقول في ذلك: ((حضرموت: مدينة نزهة عامرة، ولها أعمال كثيرة؛ وعادتهم أن كل غريب يدخل مدينتهم ويُصَلِّي في مسجدهم، فإنهم يأتونه بالطعام ثلاث مرات في اليوم ويكرمونه كثيرًا)).

ويعد الرحالة المقدسي[21] من أكثر من اهتمَّ بالحديث عن حضرموت وموقعها وما ارتبط بها فقال عنها: ((حضرموت مدينة بالأحقاف)). ويقول في موضوع آخر: ((وناحية الأحقاف مدينتها حضرموت)) [22]. كما يذكر أنَّ: ((ناحيتها الأحقاف، بها من المدن حضرموت))[23]. ويقول الحزمي (ت: 584هـ/ 1188م)[24]: ((حَضْرَموت أحد مخاليف الْيَمَن والنسبة إِلَيْهِ حضرمي)).

ويعرّف القزويني[25] موقع حضرموت مشيرًا إلى قدم المنطقة، وأثبت ذلك بما نقل عن أحدهم زيارته لها، وحصوله على قطع أثرية فخارية تثبت أن حضرموت كانت ذات حضارة عريقة: ((حَضْرَمَوْت: ناحية باليمن مشتملة على مدينتين، يقال لإحداهما شبام وللأخرى تريم، وهي بقرب البحر في شرقي عدن، وأنها بلاد قديمة. حكى رجل من حضرموت قال: وجدنا بها فخارًا فيه سنبلة حنطة وامتلأ الظرف منها، وزناها كانت منًّا، وكل حبة منها كبيضة دجاجة)). وقد سأل أحد الحضارم المعمِّرين في زمن القزويني[26] عن هذه القطع وما رسم عليها لا سيما السنابل، فكان ردُّه: ((هذا زرع قوم من الأمم الماضية، كانت ملوكهم عادلة، وعلماؤهم أمناء، وأغنياؤهم أسخياء، وعامَّتهم منصفة)).

والحديث عن حَضْرَمَوْت كناحية أو مخلاف أو مجموعة مخاليف جنوب اليمن[27] دليل على أنه كان لها حدود جغرافية واسعة ومعروفة، فصلتْها عن بقية أقاليم جنوب الجزيرة العربية الشرقية والغربية والشمالية، على الرغم من اجتهاد بعض الجغرافيين وشرحهم لطبيعة تلك الحدود وانتسابها لجهة معينة أو لبعض الجهات، مع التداخل الواضح لحدود حضرموت مع غيرها في حقب متعددة، ومن خلال ما قُدم نجد أن هناك اتفاقًا بين الجغرافيين على أن حضرموت من ديار العرب، التي تمتد من حدّ السّرّين إلى ناحية يلملم، ثمّ على ظهر الطائف ممتدًّا إلى نجد اليمن إلى بحر فارس مشرّقا فمن اليمن، ويكون ذلك نحو الثّلثين من ديار العرب، كما أنها ضمن مخاليف اليمن، مثلها مثل تهامة وعدن وبلاد صنعاء والمهرة وغيرها[28].

ويدخل عدد من الرحَّالة والجغرافيين أمثال البكري ت: (487هـ/ 1094م)[29] بلاد حضرموت والشحر وأراضي تقع جنوب الجزيرة العربية لاسيما مناطق ما خلف تثليث ضمن أراضي اليمن، ويقول في ذلك: ((ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء، وما والاها

من البلاد إلى حضرموت والشّحر وعُمان، وما بينها اليمن، وفيها التهائم والنّجود واليمن يجمع ذلك كلّه)).

ويعرف الرحَّالة والجغرافي ياقوت الحموي[30] حضرموت وموقعها وما تميزت به معتمدًا على ما جاء عند من سبقه من الجغرافيين، فيقول عنها: ((وحضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، وبقربها بئر برهوت المذكورة فيما تقدم، ولها مدينتان يقال لإحداهما تريم وللأخرى شبام، وعندها قلاع وقرى، وقال ابن الفقيه: حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال، وبينه وبين مخلاف صداء ثلاثون فرسخا، وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخًا، وقيل: مسيرة أحد عشر يومًا، وقال الإصطخري: بين حضرموت وعدن مسيرة شهر. وفي تلك المساحة الواسعة الخاضعة لحضرموت قام عددٌ من المدن والقرى الحضرمية الشهيرة التي سوف نتناولها في المبحث القادم.

المبحث الثاني- أشهر مدن حضرموت وقراها:

ضمت المساحة الجغرافية لبلاد حضرموت – المذكورة سابقًا – عددًا من المدن الشهيرة والقرى المعروفة التي ورد ذكرها عند الرحالة والجغرافيين المسلمين وغيرهم؛ لما تميزت به من صفات اشتهرت بها، وتاريخ وثقته روايات بعض المهتمين ممن أخذوا معلوماتهم من سكان المنطقة وغيرهم، وكتب التاريخ المعروفة في ذلك الوقت، وعلى الرغم من تعدد تلك المدن حاولنا هنا الإشارة إلى أهمها، وما تميزت به من صفات عن غيرها.

أولًا- أسباب شهرة المدن الحضرمية:

مما لا شك فيه أنَّ توجُّهَ بعض الرحالة والجغرافيين للكتابة عن بعض المدن والقرى الحضرمية جاء نتيجة لأسباب مختلفة لم تتم الإشارة إليها مباشرة ولكنها تظهر من خلال ما دوَّنُوه في كتاباتهم، وهو ما دفعَنا إلى تحليل تلك الكتابات واستخلاص الأسباب فيما يأتي:

1- أن حضرموت بمدنها المختلفة كانت من أقدم البلاد العربية المسكونة في المنطقة، وأكثرها حضارة وعراقة، وبحكم ما جاء عنها تاريخيًا، وما وجد فيها من إرث حضاري من قبور ومعمار وغيرها عُدَّ بعضُ مدنها من أقدم مدن الجزيرة العربية الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية.

2- كان لموقع عدد من تلك المدن والقرى على خطوط التجارة دور في شهرة بعضها لاسيما التي برزت كمراكز وأسواق على طريق القوافل التجارية.

3- شهرة بعض مدن حضرموت كأسواق تجارية معروفة من أسواق العرب في الجاهلية وتحديدًا أسواق بعض المدن العتيقة التي كانت تقام خلال أيام معروفة بين العرب.

4- أصالة ساكني مدن حضرموت وقراهم ومكانتهم الاجتماعية بين القبائل العربية بعد أن ذاع صيتهم وأخبار ملوكهم في داخل الجزيرة العربية وخارجها بالكرم والجود والعلم والصلاح.

5- تميز بعض مدن حضرموت في الجوانب التجارية الزراعية لاسيما التي كانت تقع على ضفاف بعض الأودية المشهورة ذات المنتجات الزراعية المختلفة.

6- سمعة بعض المدن الحضرمية كمراكز علمية جذبت إليها طلاب التعلم والعلماء من مختلفة حواضر العالم الإسلامي، وكانت سببًا في زيادة الرحلة في طلب العلم إلى مدن حضرموت الرئيسة التي اشتهرت بمدارسها ومساجدها المهيأة لاستقبال مثل هؤلاء والقيام بهم.

7- شهرة بعض الشخصيات عبر التاريخ، والتي نسبت إلى بعض مدن حضرموت في مجال الشعر والأدب والنجدة والشجاعة وغير ذلك من المميزات

التي زادت من معرفة الأمصار الإسلامية ببلاد حضرموت ومدنها عبر القاب هذه الشخصيات.

8- هجرات الحضارم المتعددة إلى مناطق اليمن المختلفة وخارجها، وبروز بعض الشخصيات الحضرمية في الأمصار العربية في مجالات مختلفة، وتبوُّؤ بعضهم مناصب رفيعة في الدولة العربية وجيوشها أو القضاء والتعليم والطب والتأليف وغيره، مما لفت نظر بعض الرحالة والجغرافيين الذين سعوا للكتابة عن هؤلاء ومدنهم وما عرفوا به من مكانة وأمانة.

9- طبيعة البناء المعماري للمدن الحضرمية التي ميزتها عن غيرها من مدن المنطقة والعالم، وتحديدًا بعض المدن التي اشتهرت في داخل حضرموت بنوعية مواد البناء التي تتواكب مع طبيعة المنطقة خلال مواسم السنة، والشكل الداخلي والخارجي للبيوت، والارتفاع اللافت للنظر لبعضها، وإحاطتها بالأسوار الحصينة والقلاع الدفاعية لحمياتها من غزوات القبائل وغيرها.

ونتيجة لكل ذلك، عكف بعض الجغرافيين والرحالة على تدوين ملاحظاتهم عن هذه المدن العريقة التي تميَّز بعضها بصفات عالمية لم تعرفها بقية مدن الجزيرة العربية والعالم، وهو ما سنتناوله في المباحث القادمة.

ثانيًا- المدن الحضرمية الكبرى:

خصص عددٌ من الرحالة والجغرافيين أجزاء من كتاباتهم لمدن حضرموت وقراها؛ إذ كان لكل مدينة خاصيتها التي ميزتها من غيرها، وهو ما أشارت إليه هذه المؤلفات، وحاولْنا هنا التركيز على ما ورد من معلومات عن هذه المدن العريقة والعتيقة وما شهدتْهُ من تفرُّدٍ في جوانب جاء ذكرها عند هؤلاء وغيرهم ممن زاروها أو سمعوا عنها ممن زارها أو سكنها، ومن بين أهم تلك المدن:

- **شِبَام:**

وهي من أقدم المدن في حضرموت الوادي، وأكثرها اهتمامًا من قبل الجغرافيين الذين راحوا في تدوين عدد من المعلومات المتعلقة بها كمدينة معمورة، على الرغم من تعدُّد المدن التي حملت التسمية نفسَها في اليمن تاريخيًا[31]، ومما جاء عن شبام حضرموت عند بعض الرحَّالة والجغرافيين قولهم إنَّها قصبة حضرموت[32]، ووُصِفت بأنها سرير ملك حضرموت[33] كدليل على أهميَّتها، وتعد ثاني المدن التاريخية في حضرموت بعد تريم التي تبعُدُ عنها بمقدار مرحلة تقريبًا[34].

وعن تسمية شبام سخَّر بعض الرحالة والجغرافيين كتاباتهم لهذا الجانب المهم للتعريف باسم المدينة ومصدره، فكان هذا الأمر من أوائل اهتماماتهم، لاسيما أن بعضهم ربط هذه التسمية ببعض الجماعات التي انتقلتْ من المناطق المجاورة لحضرموت نفسها للاستقرار فيها؛ فسميت بهم، وهو ما أشار إليه الجغرافي الهمداني[35] الذي قال في ذلك: ((فلمَّا احتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة من شبوة فسكنوا حضرموت وبهم سميت شبام، وكان الأصل في ذلك شباة، فأبدلت الميم من الهاء)).

وقد بلغ الأمر ببعض الجغرافيين إلى الحديث عن مساحة المدينة وعرضها لما لها من أهمية تاريخية واقتصادية، فقال عنها الهمداني[36]: ((وعرض شبام حضرموت مثل عرض ظفار، وطولها من المشرق مئة وست عشرة درجة)). كدليل على سعة مساحة شبام التي يبدو أن التسمية شملتْ بعض المساحات القريبة منها، مما أدى إلى أن تتسع مساحة المدينة وإن كانت غير معمورة أو مسكونة، وإنما كانت مساحات زرعها أهل شبام للاستفادة منها فصارت جزءًا من المدينة وتسميتها.

اشتهرت مدينة شبام بأصالة قبائلها المعروفة كقبائل

بني فهد من حمير، وسكانها الوافدين إليها من مناطق مختلفة من اليمن وغيرها، وتميزت ببنيتها التحتيَّة ومرافقها الخِدمية الدينية والتعليمية وهو ما لفت نظر بعض الجغرافيين لاسيما مساجدها العامرة الكثيرة التي تؤكد أنها كانت مدينة ذات مساحة جغرافية واسعة، وشوارع وأزقة كانت تعُجُّ بالحياة والحركة والكتاتيب والمدارس ودور العبادة ومراكز التُّجَّار والأسواق بأنواعها على الرغم مما عانته من صراعات كانت سببًا في خراب المدينة خلال بعض الفترات الزمنية القديمة، وقد ورد ذكرها عند الهمداني[37] فقال عنها: ((وأما شبام فهي مدينة الجميع الكبيرة وسكنها حضرموت، وبها ثلاثون مسجدًا، ونصفها خراب خربتْها كندة، وهي أول بلد حمير)).

ويصف الادريسي[38] شبام بقوله: ((وأما شبام فهو حصن منيع جامع بأهله في قمة جبل شبام، وهو جبل منيع جدًا، لا يُرتَقَى إلى أعلاه إلا بعد جهد، وفي أعلاه قرى كثيرة عامرة ومزارع، ومياه جارية، وغلَّات ونخل وخصب زائد، ويوجد في هذا الجبل أحجار العقيق وأحجار الجمست وأحجار الجزع، وهي في ذاتها عند وجودها أحجار مغشاة بأغشية ترابية لا يعرفها إلا طلابها بعلاماتها المشهورة لها، فتعمل هذه الأحجار فإذا عملت وصقلت ظهر حسنُها وصفاء جوهرها ويحكي طلَّابُها ومستخرجوها أنهم يجدون هذه الأحجار في أودية محصاة، وحصاها ملوَّن بأنواع من الألوان الحسنة، فيلقطون هذه الأحجار من بينها، ويأتون بها إلى صناعها فيحكمونها ويتجهَّز بها التجار من هذه البلاد)). وعلى ما يبدو أن هناك لَبْسًا حدث لدى الإدريسي عند وصفه لشبام لاسيما وأنَّ ما جاء عنها من وصف لا ينطبق على شبام حضرموت، وقد يكون وصفًا لشبام كوكبان في شمال اليمن.

ويذكر ياقوت الحموي[39] شبام كأحد أهم مدن حضرموت الكبرى، ويشير إلى أن التسمية بنسبتها إلى قبيلة سكنتْها من دون تحديد المدة الزمنية لذلك. وفي موضع آخر يذكر ياقوت[40] شبام مشيرًا إلى التسمية والتعريف بها، فقال عنها: ((شِبَامُ: بكسر أوّله، خشبة تعرض في فم الجدي لئلا يرتضع، والشّبم: البرد...)).

وعن بناء مدينة شبام يورد ابن المجاور[41] رواية عجيبة انفرد بها عن غيره من الرحالة والجغرافيين، وقد تكون بعيدةً عن الواقعية، وفيها الكثير من الخلط التاريخي؛ إذ يقول في تلك الرواية: ((لمّا تزوج سليمان بن داود عليه السلام بلقيس اشترى أختها نعم نوق وابل، وأسكنت المال والنعم في مكان الأرض، فكانت الإبل إذا رمت الخلة تندَّت الأراضي من أبوالها، وكانت تأمر الرُّعاة أن يفرشوا على النداة التراب ليرد الضرر عن النعم، ولا زالوا على حالهم إلى أن صار تلًا عاليًا شامخًا في الهوى، فأرادت عليه سورًا وسكنته، وركبت على السور ثلاثة أبواب... ويقال إنّ اسم المرأة شبام فعرف البناء بها والله اعلم)). ومع أن ابن المجاور يشير إلى تسمية شبام أطلقت على مدنٍ يمنية عدَّة غير أنه هنا يؤكد أن شبام حضرموت هي من تحدث عنها في قصة سليمان بن داود.

وعلى أية حال، فقد شهدت شبام تطوُّرًا عمرانيًا لافت للنظر، خاصة قصر الدوار الذي تميز بطوله وسعته وارتفاعه وسط المدينة، وهي صفة انفردتْ بها بيوت شبام العالية من غيرها من المدن اليمنية الأخرى، وعلى ما يبدو أن بيوت شبام شُيِّدتْ بالنمط المعماري نفسه المذكور، وبحكم ما وصلت إليه المدينة من تطور؛ وقد تطلّب الأمر ضرورة تحصينها بالأسوار والقلاع لحمايتها من أي غزوات قد تتعرض لها من قبل القبائل المحيطة بها، لاسيما وأن المنطقة شهدت عددًا من الأحداث التاريخية المهمَّة والصراعات، وممن تغلَّب عليها من الملوك شخص يسمى عمرو بن مهدي أخذَها بالسيف، وجدَّد عمارة الحصن، وأحكمها

غاية الإحكام، وجعلها سريرَ مُلكِهِ بعد أنْ بنى لها أسوارًا وخنادق وأبواب – كما وصف ابن المجاور – [42].

وأعطت بعض الدول المتتابعة التي حكمت اليمن اهتمامًا خاصًا بشبام ومدن حضرموت المختلفة، فراح بعض وُلاتِها يربطون شبام بغيرها عبر شبكة محطات وجوامع لوقوف القوافل وراحة المسافرين والملتحقين بها، وخلق حالة من الأمان للمسافرين منها وإليها، ويقدم لنا ياقوت الحموي[43] تفاصيل عن ما تمَّت الإشارة إليه معتمدًا على ما جاء في بعض المصادر التاريخية المهمة أمثال عمارة اليمني وغيره فيقول في ذلك: ((شِبَامُ حضرموت وهي إحدى مدينتي حضرموت والأخرى تريم، قال: وشاهدتُ هذه جميعها، قال عمارة اليمني في تاريخه: وكان حسين بن أبي سلامة، وهو عبدٌ نوبيٌّ وزر لأبي الجيش بن زياد صاحب اليمن إنشاء الجوامع الكبار، والمنائر الطوال من حضرموت إلى مكّة، وطُولُ المسافة التي بنى فيها ستون يومًا، وحفر الآبار الروية والقُلُب العادية، فأوّلها شبام وتريم مدينة حضرموت، واتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن، والمسافة عشرون مرحلة، في كلّ مرحلة منها جامع ومئذنة وبئر، وبقي مستوليًا على اليمن ثلاثين سنة، ومات سنة 432، وذكر له فضائل وجوامع في كل بلدة من اليمن عدن والحرة والجند، قلت: وهي في الأرض منسوبة إلى قبيلة من اليمن، وهذه المذكورة بطون منها، وقال ابن الكلبي: ولد أسعد بن جشم ابن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان عبد الله وهو شبام بطن وشبام جبل سكنه عبد الله، منهم: حنظلة بن عبد الله الشبامي قتل مع الحسين ﷺ، وقال الحازمي: شبام جبل باليمن نزله أبو بطن من همدان فنسب إليه، وبالكوفة طائفة من شبام، منهم: عبد الجبار بن العبّاس الشبامي الهمداني من أهل الكوفة، يروي عن عوف ابن أبي حجيف وعطاء بن السائب، وكان غاليًا في التشيّع، وتفرد بروايات المقلوبات عن الثقات، روى عنه عون بن أبي زيادة والكوفيون، ووجدت في كتاب ابن أبي الدمينة: شبام أقيان أيضًا وهو أقيان ابن حمير)).

– **تَرِيمُ:**

وتُعد ثاني أكبر مدن حضرموت خلال فترة الدراسة بعد شبام، ويقول عنها الهمداني[44]: ((وتريم مدينة عظيمة)). ويذكرها في موضع أخر بأنها من ديار تميم بحضرموت[45]. كما وصفها البكري[46] بقوله إنها: ((من حصون حضرموت، وهو موضع الملوك من بني عمرو بن معاوية، منهم أبو الخير الوافد على كسرى، يستمدّه على قومه، وكذلك تنعم مدينة بحضرموت، سمّيتا بتريم، وتنعم ابني حضرموت ابن سبأ الأصغر، هكذا قال الهمدانى. وقال في موضع آخر: إن منزل هؤلاء الملوك الكنديّين إنّما كان بالمشقّر)).

ويعرّف الزمخشري[47] تريم بأنها موضع من دون تحديد الموقع. ويذكرها ياقوت الحموي[48] كإحدى أهم مدينتين بحضرموت، محدِّدًا أصل التسمية بقوله: ((تَرِيمُ: اسم إحدى مدينتي حضرموت، لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها شبام وتريم، وهما قبيلتان سمّيت المدينتان باسميهما)).

ويصفها ابن سعيد المغربي[49] بأنها قاعدة حضرموت، محدِّدًا لنا جغرافيتها الطبيعية، والمناطق المحاذية لها بالميل، فيقول عنها: ((وقاعدة حضرموت تريم، وهي في الجبال في شمالي لسعا[50]، بينهما تسعون ميلًا. وفي شمالي تريم من مدنها المذكورة في الكتب شنوه المذكورة بكثرة التمر، وبينهما نحو تسعين ميلًا، وفي الشرق بستين ميلًا من كل واحدة الخزيمة، وفي الشرق ظفار التي كانت قاعدة التبابعة فخربت)).

ويُقدِّم الرحَّالة ابن المجاور[51] معلومات قيمة ومهمة عن تريم بحُكمِ رحلته إلى اليمن في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وتحديدًا إلى مدينة

عدن التي استقر بها مُدَّةً زمنيَّة، وعمل في أسواقها، واختلاطه بعدد من سُكَّانها، التي يشكل الحضارم جزءًا كبيرًا منهم، وشكلت مادة ابن المجاور إضافة مهمة لما جاء عن الحضارم عامة ومنطقة تريم خاصة، فكان من أهم ما دونه عن تريم أنها إحدى المدن الكبرى من أعمال حضرموت، وأنه يوجد بها مرتفع، وفي وسط هذا المرتفع يوجد ضرس[52] جبل صاعد في الجو شبه منارة بُني عليها حصن يسمى بـ : "حصن المشرق"، قال فيه الشعراء:

أقبل من أعشقه غدوة

من جانب الغرب على أشهب

فقلت سبحانك يا ذا العلا

شرقت الشمس من المغرب

كما يذكر أن المدينة تلتفُّ دائريًا حول الحصن المذكور، ويوجد بها مسجد قديم غاية في الروعة والجمال، قُتل مهندسه بعد الانتهاء من إنشائه من قبل أحد ملوك المدينة الحضارم الذي لم يذكر ابن المجاور اسمه، بعد أن وجَّه له سؤالًا عن إمكانية بناء ما هو أفضل منه، فكان جواب المهندس بإمكانية ذلك، مما كان سببًا في قتله، كما بنى القائد الحسين بن سلامة جامعًا آخر إضافة إلى جامع شبام مما أدى إلى اتساع المدينة في القرن المذكور، لا سيَّما بعد أن توافرت فيها الخدمات المختلفة[53].

وقد زاد من شهرة المدينة وانتشار صيتها بين مدن حضرموت والمنطقة ما انتشر عنها من معالم ومزارات تاريخية ودينية معروفة كان أشهرها: قبر النبي هود عليه السلام المعروف بطوله الذي يبلغ سبعين ذراعًا، وبعده عن تريم بمسافة ثمانية فراسخ. وقبر ذي نيال بن هود عليه السلام الذي يبلغ طوله أربعين ذراعًا في قرية هارون من أعمال دوعان (دوعن)[54] ، وقد كانت تلك القبور بأطوالها المبالغ فيها من الأمور التي ناقشها ابن المجاور[55]، لا سيَّما بعد إعطائه أمثلة أخرى لقبور بعض الأنبياء وأبنائهم ممن امتازت بطولها المبالغ فيه فقال عنها: ((وما ظن القوم كانوا بهذا الطول، ولكن طوَّلوا قبورهم)).

ومن فوائد كتب الرحلات والجغرافيا أن بعض مؤلفيها اهتموا بمسألة تحديد الأبعاد بين المناطق التي كتبوا عنها، والمناطق والمدن القريبة أو البعيدة عنها؛ مما كان ذا فائدة للرحالة والمسافرين والتجار والحجاج والمعتمرين وغيرهم، فذهب بعض الجغرافيين إلى تحديد المسافة بين تريم وشبام فقُدِّرت بين المدينتين مقدار مرحلة [56].

- **الشِّحْر:**

كانت الشِّحْر من أهم مناطق حضرموت الساحلية المعروفة والمشهورة، مثلها مثل بقية المناطق ذات المدن الحضرمية التي ذاع صيتُها في المنطقة وخارجها، وقد حملت أشهر مدن هذه المنطقة اسمَها، وسُمِّيَتْ بمدينة الشحر تحديدًا، وقد أوليْنا اهتمامًا خاصًا بالشحر لأنها ساحل طويل ممتد على بحر العرب، ربط مناطق جنوب الجزيرة العربية ببعضها فدخلت فيه حضرموت ومهرة وأجزاء من بلاد عُمان، بل وأوسع من ذلك عند عدد من المؤرخين والجغرافيين والرحَّالة، مما دفع بعضهم إلى الحديث عنها كُلًا بحسب ما وصله من أخبار الأولين التي سنعمل على دراستها والتحقق منها، وقد اجتهد بعض الرحَّالة والجغرافيين مثل الرحالة ياقوت الحموي[57] في تعريف المصطلح، وعمل على ضبطه، وتحديد الموقع، فقال: ((الشِّحْرُ: بكسر أوّله، وسكون ثانيه، قال: الشِحْرة الشَطُّ الضيّق، والشّحر الشط: وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن)).

كما جاء ذكر الشحر لدى عدد من الرحالة والجغرافيين الذين وجدوا في موقعها على طريق سفن الهند والصين ميزة كانت سببًا في بروز المنطقة وشهرة أهلها ومنتجاتها النادرة التي تنوَّعت نتيجة

لرواجها العالمي، ويقدم الرحالة السيرافي (ت: بعد 330هـ/ 941م)[58] مشاهداته عن المنطقة وبحرها وبعض الأراضي الواقعة على شواطئها في جنوب الجزيرة العربية، وملاحظاته عن الشحر كأصل لسلعة اللبان، وأرض أقدم الأقوام وأكثرهم شهرة في حضرموت على الرغم من صعوبة طبيعة منطقتهم القاسية التي أثرت في سكانها واستقرارهم، ويقول في ذلك: ((ففي هذا البحر الذي عن يمين الهند الخارج عن عُمان بلاد الشحر، وهي منابت اللبان، وأرض من أراضي عاد وحمير وجرهم والتبابعة، ولهم ألسنة بالعربيّة عادية قديمة لا يعرف أكثرها العرب، وليست لهم قرى، وهم في قشف وضيق عيش إلى أن تنتهي أرضهم إلى أرض عدن وسواحل اليمن وإلى جدّة)).

ويصف الجغرافي ابن حوقل (ت: 367هـ/ 977م)[59] الشِّحْر، وامتداد أراضيها، وطبيعتها، ولسان أهلها، وطعامهم، وثرواتهم، فيقول عنها: ((بلاد قفرة ألسنتهم مستعجمة جدًّا، لا يكاد يوقف على كلامهم، وليس بها نخل ولا زرع، وإنّما أموالهم الإبل والمعز والإبل والدوابّ، تعلف السمك الصغار المعروف بالوزف، وهم وسائر حيواناتهم لا يعرفون الخبز ولا يأكلونه، وأكلهم السموك والألبان والتمور، ولهم نجب من الإبل تفضّل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب، واللبان الذي يستعمل بالآفاق من هناك، وديارهم مفترشة به وبلادهم بواد نائية، ويقال إنّها من أعمال عمان)). وفي موضع آخر يشير إلى أن أراضي الشحر هي بداية بلاد مهرة، محدِّدًا طولها وعرضها بصورة تقريبية، ويقول في ذلك: ((أوّل بلد مهرة وهي الشحر وطولها أربع مائة فرسخ والعرض في جميع ذلك من خمسة فراسخ إلى ثلثه فراسخ وكلّها رمل)) [60].

ويُعرِّف صاحب كتاب حدود العالم[61] الشِّحْر بقوله: ((الشّحر: مدينة على ساحل البحر، ترتفع منها الجمال الجيدة، ويؤتى منها باللبان الذي يحمل إلى الآفاق)).

ويقول المؤرخ الجغرافي البكري[62] عن الشِّحْر: ((الشِّحْر، بكسر أوّله، وإسكان ثانيه، بعده راء مهملة ساحل اليمن، وهو ممتدّ بينها وبين عُمان)).

ويشير الزمخشري[63] إلى الشحر بقوله: ((الشَحر: موضع باليمن معروف))، من دون أن يحدد موقعه بالضبط. ويذكر ياقوت الحموي[64] الشحر كمنطقة ضمن حدود الجزيرة العربية الواسعة، وقال عنها: ((فالشحر بين عُمان وعدن، قال الأصمعي: جزيرة العرب أربعة أقسام: اليمن ونجد والحجاز والغور، وهي تهامة، فمن جزيرة العرب الحجاز وما جمعه وتهامة واليمن وسبأ والأحقاف واليمامة والشحر وهجر وعُمان و...)). وفي موضع آخر يعرف ياقوت[65] الشِّحْر، معتمدًا على مصادر نقل عنها، فيقول في ذلك: ((قال الأصمعي: هو بين عدن وعُمان، قد نسب إليه بعض الرّواة)).

سكن بلاد الشحر عددٌ من القبائل المعروفة في المنطقة من حمير وغيرها من العرب، وتميزوا بأسلوب حياة خاصة بهم باللبس وغيره، ويصف السيرافي[66] هذه القبائل، ونمط حياتهم بقوله: ((وأهل الشحر أناس من قضاعة بن مالك بن حمير وغيرهم من العرب)). ويضيف السيرافي[67] عن أهل الشحر وما اشتهروا به: ((وهم ذو فقر وفاقة، ولهم نجب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية، وتشبه بالسرعة بالنجب البجاوية، بل عند جماعة انها أسرع منها فيسيرون عليها على ساحل بحرهم)).

كانت بلاد الشحر إحدى محطات التجارة والوقوف للحجَّاج والمسافرين عبر الساحل من بلاد عُمان إلى جنوب غرب الجزيرة العربية وشمالها إلى مكة المكرمة وغيرها، ويقول عنها ابن خرداذبة[68]: ((وأما من عُمان إلى مكة فعلى طريق الساحل المنازل فرق عوكلان ساحل مناة بلاد الشحر مخاليف كندة

مخاليف عبد الله بن مذحج مخلاف لحج أبين عدن مغاض اللؤلؤ)).

وعلى أية حال، فقد كانت الشحر من البلاد الحضرمية التي لفتت نظر بعض الرحالة والجغرافيين الذين كتبوا عنها بإعجاب لما كانت تمتلكه من مقومات اقتصادية جذبتْ إليها الباحثين عن الرزق والمال، وأصبح يُنصح بها لمن أراد الثراء، لاسيما وأنها كانت من المناطق التي اشتهرت بتجارة اللبان وغيره من السلع ذات الرواج العالمي في ذلك الوقت.

كانت العرب تنظر إلى بلاد الشحر وحضرموت بأنها من البلاد البعيدة جدًا مع صعوبة الوصول إليها، وأُطلقت في ذلك الأمثلة التي تداولوها بينهم، ويورد لنا الجغرافي الهمداني[69] أحد تلك الأمثلة التي كانوا يطلقونها على من يجدون صعوبة بالوصول إليه والذي يقولون فيه: ((يقولون لست معجز لنا ولو بلغت الشحر ولو حالت دونك يبرين، وبلغت حضرموت)).

ومن عجائب ما جاء عن بلاد الشحر لدى بعض الجغرافيين والرحالة أنهم كثيرًا ما ربطوا ذكرها بكائن النّسناس الخرافي، عند الإشارة إلى الشحر وبعض مناطقها الساحلية، باعتبار هذه المخلوقات انتشرت في سواحل المهرة والشحر حتى بلاد عُمان، وقد تحدث عنها الجغرافي البكري[70] وعرَّفها عند حديثه عن حضرموت والشحر، فقال عنها: ((فأمّا النّسناس فيزعمون أنّه ببلاد حضرموت، وأنّه كمثل نصف الإنسان بيد واحدة، ورجل واحدة، يثب وثبًا ويعدو عدوًا شديدًا، وأنّه يغتذي بجميع النبات ويصبر على العطش...)).

وجاء عن القزويني[71] معلومات عن النسناس في أثناء حديثه عن الشحر، فقال: ((يوجد بها النسناس، حكى بعض العرب قال: قدمت الشحر فنزلتُ عند بعض رؤسائها وسألت عن النسناس. فقال: إنا لنصيده ونأكله، وهو دابة كنصف بدن الإنسان، له يد واحدة ورجل واحدة، وكذلك جميع الأعضاء، فقلت: أنا أحب أن أراه، فقال لغلمانه: صيدوا لنا شيئًا منه. فلما كان من الغد جاءوا بشيء له وجه كوجه الإنسان، إلا أنه نصف الوجه، وله يد واحدة في صدره، وكذلك رجل واحدة...)).

وعلى ما يبدو أن أهالي الشحر وحضرموت كانوا يستمتعون كثيرًا بروايات وحكايات النسناس، ويتبادلونها فيما بينهم للتسلية في مجالسهم كغيرها من قصص الخيال المنتشرة في ذلك الوقت، وهو ما تحدث عنه بعض الرحالة والجغرافيين، من دون تأكيد أحدهم أنه شاهد مثل هذه الكائنات الخرافية، وهو ما أفصح عنها الجغرافي البكري[72] بقوله: ((ورأيت أهل الشّحر وحضرموت يستطرفون أخبار النسناس، ويتوهّمون أنّه ببعض البلاد، وهذا يدلّ على عدم كونه، وأنّه من هوس العامّة كما وقع لهم خبر عنقاء مغرب)).

ضمت منطقة الشحر الواقعة على ساحل بحر العرب عدد من المدن والقرى، وحملت إحدى تلك المدن اسم الشحر، وهي المدينة الواقعة اليوم في حدود بلاد حضرموت وجنوبها، حيث تحدها من الجهة الغربية مدينة المكلا وغيل باوزير، ومن الشرق الديس الشرقية والريدة وقصيعر، ومن الشمال غيل بن يمين والأطراف الجنوبية لهضبة حضرموت، ومن الجنوب بحر العرب[73]، وقد حملت مدينة الشحر تاريخيًا تسميات مختلفة، منها: الشحرات، والأشحار، والأشغا أو الأسعاء كما ورد لدى الهمداني[74]، حيث جاءت تلك التسميات من أسماء مواقع وأودية قريبة منها، مثل: وادي الأشغا الذي تميز بكثرة أشجاره، وآباره وأشجار النخيل التي انتشرت فيه، فقامت أحياء المدينة حوله لاسيما من الجانب الشرقي، وأيضًا مقبرة المدينة القديمة التي أنشئت في جانبها الغربي، كما سميت المدينة بسمعون نسبة إلى وادي سمعون الذي

تلتفُّ المدينة حوله من جهة الشرق والغرب، وكانت آبار سمعون المعروفة بالأحقاف مصدر مياه أهل المدينة وشربهم.

- **لسعا:**

مدينة صغيرة جدًا على ضفة البحر، بينها وبين شرمة عبر الساحل مسافة يوم، ويومان عبر البرية، وتقع بين شرمة ولسعا قرية كبيرة فيها حمة حامية كالجابية، وأهل تلك النواحي يتطهرون فيها، ويجلبون إليها مرضاهم فيصحون بها من آلامهم وأنواع أسقامهم[75].

ويذكر ابن سعيد المغربي[76] لسعاء ضمن أشهر مدن حضرموت الساحلية الخاملة لكونها قليلة الجد كما وصفها وغيرها من تلك المدن، وأنه لا يتردد عليها الركبان في البر ولا أصحاب المراكب في البحر، فقال عنها عند حديثه عن حضرموت: ((ولها مدن خاملة الأسماء لكونها قليلة الجد، ولا يتردد عليها الركبان في البر ولا أصحاب المراكب في البحر، وأشهر مدنها الساحلية في الكتب لسعا: وهي حيث الطول اثنتان وسبعون درجة وعشر دقائق والعرض اثنتا عشرة درجة وبينهما أربعون ميلًا، وبين لسعا وعدن جبل ممتد معترض يطوّل السفر في البر ومسافته من البحر إلى شمالي لسعا ثمانون ميلًا)). وورد ذكرها لدى بعض الجغرافيين أمثال المقدسي باسم اللسعة[77].

- **دَوْعَنُ:**

وصفها الهمداني[78] بالمدينة، وأنها تقع بين شبام والقارة، كما يقول عنها إنها موضع الإمام الذي يأمر الإباضيَّة وينهى. ويقول ياقوت الحموي[79] عنها: ((دَوْعَنُ: موضع بحضرموت، قال ابن الحائك: وأما موضع الإمام الذي تأمّر في الإمامية بناحية حضرموت ففي مدينة دوعن)).

كما ذكره الهمداني[80] دوعن كأحد أشهر أودية حضرموت الداخل، وبه المدينة التي سُمِّيت به (دوعن)، وقامت على ضفاف هذا الوادي مدن وقرى أخرى أشار الهمداني إلى بعضها، مثل: شزن وذو إصبح التي قال إنهما مدينتان بدوعن.

- **الهَجْرَيْن - الهَجَرَانِ:**

الهجر القرية بلغة حمير والعرب العاربة، والهجران تثنية الهجر، وتعد الهجرين من مدن حضرموت الحصينة ذات المنعة من كل جانب، ذكرها الهمداني[81] ضمن أهم مدن حضرموت الشهيرة بمنعتها؛ بحكم وقوعها في رأس جبل حصين، وربط ذكرها بمدينة دَمُّون، وقال: وهما مدينتان متقابلتان في رأس جبل حصين ومنيع، اشتهرتا بوفرة المياه فيها، وأنواع الزراعة والبساتين لاسيما النخيل وأنواع الحبوب، فقال في ذلك: ((ومنزل كل رجل في هاتين القريتين مُطِلٌّ على ضيعته، ولهم غيل يصبّ من سفح الجبل يشربونه، وزروع هذه القرى النخل والعبر بها محفَّة، الذَّبر الزرع)). ويشير الهمداني إلى ما يقال من أمثال فيها وفي زرعها بقوله:

من الهجران كفَّة بكفَّه

النّخل والذَّبر بهما محفَّه

ويقصد بالذَّبر: الزرع.

وذكرها ياقوت الحموي[82] أنها ضمن حصنَيْنِ في اليمن، وتحدث عنها معتمدًا إلى ما جاء عند الهمداني. وهي اليوم مدينة كبيرة في وادي دوعن بحضرموت، تقع في رأس جبل بالوادي بالقرب من دَمُّون، ويقال إنها تقع في حضن جبل يقال له المنيصور، كما يطلق عليه اسم الكتلة، وهي الصومعة لارتفاعه وانفراده، وقد تميَّزت الهجرين بغطائها النباتي الزراعي، ومزارع النخيل والأشجار المنتجة لأنواع الحبوب والخضار وغيرها[83].

- **رَيْدَة:**

عرفت حضرموت عددًا من المناطق والمدن التي سُمِّيَت باسم: ريدة التي قصد بها بعضهم القرى التي تقع على سفوح الجبال أو في الحيود[84]، ووثق بعض

الجغرافيين تلك المناطق وميزوا بينها بإضافة اسم القبيلة أو منطقة أو غيرها حتى يتم التفريق بينها وبين غيرها عند ذكرها والتعريف بها، ومن بين أشهر من عمل بذلك من المؤرخين الجغرافيين الجغرافي والرحالة الهمداني[85] الذي برر قيامه بذلك بقوله: ((ليفرق بينها)). فكانت أول ريدة ذكرها في حضرموت هي: ريدة الصيعر التي نسبت إلى قبيلة الصيعر من الصدف، وميَّزها بذلك عن ريدة أرضين، وهي بلد لقبيلة كندة من أرض حضرموت، وعرف عنها أن بها واديًا فيه قرى كثيرة ونخل للعباد من كندة[86]، إضافة إلى ذكره لمناطق أخرى عرفت بالريدة مثل: ريدة العباد التي لم يحدد موقعها وسكانها، وريدة الحرميَّة التي تنسب للأحروم من الصَّدف[87].

ومن الملاحظ أن غالب الرحالة والجغرافيين ذكروا أيضًا اسم (ريدة) في اليمن غير أن تركيزهم كان على ريدة البَوْن في شمال اليمن وبقية المناطق اليمنية لما شهدته من وقائع تاريخية، وأحداث وثَّقتْها المصادر التي كتبت عنها[88]، وما يهمنا هنا هو ما جاء عن اسم ريدة في حضرموت، التي اهتم بها الجغرافيون والرحَّالة على الرغم من أن غالبهم سار في معلوماته على ما جاء به الهمداني ولم يأتِ بجديد إلا ما قدمه بعض الجغرافيين في الوقت الحاضر[89].

- **عندل:**

يذكر الهمداني[90] أنها: ((مدينة عظيمة للصَّدف، وكان امرؤ القيس بن حجر قد زاد الصَّدف إليها، وفيها يقول:

كأني لم أَلْهُ بدمُّون مرَّة

ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

ويعرفها ياقوت الحموي[91] كاسم لحضرموت ويكتبها بالباء وليس بالنون، ويقول عنها: ((عَبْدَل: ويذكر أنها اسم لمدينة حضرموت)). مع أنه في مواقع أخرى يعرفها بالنون مشيرًا إلى ما جاء عن الهمداني في تعريفها[92]، وبالعودة إلى المصادر التاريخية والجغرافية الحضرمية وغيرها نجد أن ما جاء عن الهمداني هو الصحيح في ذلك. وتعرف عندل في كتاب إدام القوت[93] بأنها مدينة تاريخية قديمة لا تزال عامرة حتى اليوم، وبها سَدٌّ أثري قديم، وتنتج أرضها التمور والأعلاف.

- **شزن:**

هي إحدى مدن دوعن التي ورد ذكرها لدى بعض الجغرافيين[94].

- **ذو صبح:**

وشزن وذو صبح مدينتان بدوعن[95].

- **خَودون:**

من مدن حضرموت المعروفة، سكنتْها قبيلة الصدف الحضرمية[96]، وذكرها البكري[97] بفتح أولها وبالدال المهملة، ضمن قرى الصدف بحضرموت، ويقول ياقوت الحموي[98]: يقال لواحدة خيدون وخودون كله، إضافة إلى ذكره أن خودون ودمون هو تثنية لكلمة هجر التي تعني قرية بلغة أهل اليمن.

- **مَظَّة:**

بلدة ذُكِرت بأنها في حضرموت، وقال عنها ياقوت الحموي[99]: ((مَظَّةُ بالفتح، والمظّ رمّان البرّ: وهي بلدة باليمن لآل ذي مرحب ربيعة بن معاوية بن معدي كرب، وهم بيت بحضرموت، منهم وائل ابن حجر صحابيّ)).

- **هَدُون:**

ورد ذكرها ضمن أهم مدن قبائل الصدف في حضرموت[100].

- **دَمُّون:**

من مدن قبائل الصدف في حضرموت[101]، وقيل دَمُّون من حصون حضرموت لحمير، وكانت قرية سكنتْها قبائل الصدف[102]، ذكرها ياقوت الحموي[103] وقال عنها: ((دَمُّونُ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، قال

امرؤ القيس:

تطاول الليل علينا دمّون

دَمُّون إنّا معشر يمانون

وإننـــا لأهلنـــا محبّـــون

... وساكن دَمُّون هو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، قال: وكان امرؤ القيس بن حجر قد زاد الصدف إليها، وفيها يقول:

كأني لم أسمر دَمُّون مرة

ولم أشهد الغارات يوما بعندل)).

وعلى ما يبدو أن هناك أكثر من منطقة سُمِّيت بـ: دَمُّون في حضرموت؛ إذ يذكر المقحفي[104] اسم منطقتَيْنِ في وادي حضرموت، إحداهما في ضواحي مدينة تريم الشرقية، والأخرى في السفح الشرقي لجبل الهجرين، علمًا أنَّ الأخيرة مدينة خاربة، كانت قديمًا جزءًا من مدينة المنيظرة، وقد سكنها الملوك من بني الحارث بن معاوية الذين منهم الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، وتميز وادي دَمُّون بوفرة العيون الجارية التي تسقي كثيرًا من المزارع والبساتين التي خفت مؤخرًا[105].

- **المحجر:**

ويعرف بمحجر الزُرْقان[106]، ذكره بعض الجغرافيين بأنه كالناحية للقوم: بأرض حضرموت، أوقع فيه المهاجر ابن أبي أميّة بأهل الردّة، وقال:

كنّا بزرقان إذ نشرّدكم

بحرا يزجّي في موجه الحطبا

نحن قتلناكم بمحجركم

حتى ركبتم من خوفنا السّببا

إلى حصار يكون أهونه

سبي الذّراري وسوقها خببا[107]

- **حورة**[108]:

ويصفها الهمداني[109] كمدينة عظيمة بحضرموت، ويقول عنها: ((حورة وهي مدينة عظيمة لبني حارثة من كندة)). وفي موضع آخر يصفها بالقرية فيقول: ((وقرية بدّا[110] أخرى يقال لها حورة، فيها بطنان، يقال لهما: بنو حارثة وبنو محرَّية من تَجِيب، ورأسهم اليوم حارثة بن نعيم ومحمد ومحرية أبناء الأعجم))[111].

- **رَوْضَة العَزَاز:**

حملت تسمية الروضة عدد من المناطق في عموم جنوب الجزيرة العربية واليمن، وقد ورد ذكرها لدى ياقوت الحموي[112] لكنْ بإضافة اسم العزاز الذي يبدو أنه في حضرموت لاسيما أن هناك من شعراء حضرموت مَنْ ذكرها في أحد قصائده، فقال عنها ياقوت: ((رَوْضَة العَزَاز بالفتح، وتكرير الزاي: وهو حَزن باليمن، قال شاعر من حضرموت:

وباتت على روض العزاز جيادنا

بألبادها يعلكن صمّ الحدائد

- **رَوْضَة المَخَابِط:**

منطقة من نواحي حضرموت ورد ذكرها لدى ياقوت الحموي[113] ، فقال عنها: ((بالفتح، والخاء معجمة، والباء موحدة مكسورة: في نواحي حضرموت، قال أبو شمر الحضرمي:

عفا عن سليمى روضتا ذي المخابط

إلى ذي العلاقي بين خبت خطايط

وفي موضع آخر يفسر ياقوت الحموي[114] بعض المصطلحات التي جاءت في شعر أبي شمر الحضرمي، فيقول عن العلاقي: شجر، وهي شجرة العلقي، والخطيطة: أرض لم تمطر، وأُمطِر ما حولها، وقد حمل اسم الروضة العديد من المناطق والقرى المعروفة في حضرموت[115].

- **تَرِيْس**[116]:

وصفها الهمداني[117] بالمدينة العظيمة، وذكرها في موضع آخر[118] إلى جانب تريم، وقال: ((وتريم وتريس بحضرموت)). ويبدو أنها من المدن الواسعة

المعروفة في ذلك الوقت. ويتناول الرحالة البكري[119] في حديثه عن هذه المدينة وموقعها ونسبتها، فيقول عنها: ((تريس بفتح أوّله، وكسر ثانيه، وبالسين المهملة: مدينة بحضرموت؛ سمّيت بتريس بن خوار بن الصّدف بن مرتّع بن معاوية بن كندة، وكان اسم أخيه مديس)).

- **يَثْرِب:**

من مدن حضرموت المعروفة التي تناول ذكرها بعض الجغرافيين، وكتبوا عن ما جاء عنها، وأهم من سكنها، ويعد الهمداني[120] من أوائل من ذكرها كجغرافي، فقال عنها: ((يترب مدينة بحضرموت نزلتْها كندة، وكان بها أبو الخير ابن عمرو، وإيَّاها عنى الأعشى بقوله: بسهام يترب أو سهام الوادي. ويقال إن عرقوب صاحب المواعيد كان بها، وفيه يقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلًا

وما مواعيدها إلَّا الأباطيل)).

ويصحح ياقوت[121] رواية عرقوب ويناقشها بقوله: والصحيح أنه من قدماء يهود يثرب، وأما قول الأشجعي:

وعدْتَ وكان الخُلفُ منك سجيَّةً

مواعيد عرقوب أخاه بيترِبِ

بهذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة، قال الكلبي: وكان من حديثه وسمعت أبي يُخبِر بحديثه أنه كان رجلًا من العماليق يقال له عرقوب، فأتاه أخ له يسأله شيئًا، فقال له عرقوب: إذا طلعتَ النخلة فلَكَ طَلْعُها، فلمَّا أتاه للعدة قال: دَعْها حتى تصير بلحًا، فلما أبلحت قال: دعْها حتَّى تصير زهوًا، ثم حتى تصير بُسرًا، ثم حتى تصير رطبًا، ثم تمرًا، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجزّها ولم يُعطِه شيئًا، فصار مثلًا في الخُلفِ، قال سلامة بن جندل:

ومن كان لا يعتدّ أيامه له

فأيامنا عنّا تحلّ وتغرب

ألا هل أتى أفنى خندف كلها

وعيلان أنَّ ضُمَّ الحنينِ بيترب؟

- **تِنْعَة أو تَنْغَة**[122]:

من قرى حضرموت التي ورد ذكرها لدى بعض الرحالة والجغرافيين، على الرغم من اختلافهم في كتابتها، فذكرها البكري[123] بالعين، وقال عنها: ((تنعة بكسر أوّله، وإسكان ثانيه، وفتح العين المهملة بعده: قرية بحضرموت، منها العيزار بن جرول، الذي يروى عن سويد بن غفلة، والنسبة إليها تنعي، بفتح الأوّل والثانى – هكذا ضبط –)). ووردت لدى الحازمي (ت: 584هـ/ 1188م)[124] بالغين وقال عنها: ((بعد التاء المَفْتُوحةٌ نُوْن سَاكِنَة ثُمَّ غين مُعجمة: قَرْيَة بأرض حضرموت، عندها زادي برهوت، الذي يسمع منه أصوات أهل النار، وقد جاء ذكر ذلك في الآثار)). وقد فصل الرحالة ياقوت الحموي[125] في تسمية تنعة التي أوردها بالعين، فقال عنها: ((تِنْعَةُ: بالكسر ثم السكون، والعين مهملة، وفي كتاب نصر بالغين المعجمة، ووجدته بخط أبي منصور الجواليقي فيما نقله من خط ابن الفرات بالثاء المثلثة في أوله، والصواب عندنا تنعة كما ترجم به وروي عن الدارقطني أنه قال: تنعة هو بقيل بن هانئ بن عمرو ابن ذهل بن شرحبيل بن حبيب بن عمير بن الأسود ابن الضّبيب بن عمرو بن عبد بن سلامان بن الحارث ابن حضرموت، وهم اليوم أو أكثرهم بالكوفة، وبهم سميت قرية بحضرموت عند وادي برهوت الذي تسمع منه أصوات أهل النار، وله ذكر في الآثار، وقد نسب بهذه النسبة جماعة منهم إلى القبيلة ومنهم إلى الموضع، ومنهم: أوس بن ضمعج التنعي أبو قتيبة وعياض بن عياض بن عمرو بن جبلة بن هانئ بن بقيل الأصغر بن أسلم بن ذهل بن نمير بن بقيل وهو تنعة، روى عن ابن مسعود حديثه عند سلمة بن كهيل وعمرو بن سويد التنعي الكوفي الحضرمي،

يروي عن زيد بن أرقم، وأخوه عامر بن سويد، يروي عن عبد الله بن عمر، روى عنه جابر الجعفي وغيره)).

- **هَيْنَن**[126]:

ذكرها الهمداني[127] وقال عنها: ((قرية كبيرة في أسفلها سوق، وفي أعلاها حصن للحصين بن محمد التُّجيبيّ وساكنها بنو بدّا وبنو سهل من تجيب)). ويقول في موضع آخر: ((هينن في وادي العبر واسمه عين))[128]. ويذكرها أيضًا ضمن قرى منطقة الكسر في حضرموت، ويقول عنها: ((والكسر قرى كثيرة منها قرية يقال لها هينن فيها بطنان من تجيب يقال لهما بنو سهل وبنو بدًّا فيهم مائتا فارس يخرج من درب واحد، ورأسهم اليوم محمد بن الحصين التُّجيبي))[129]. وترد عند بعض الرحالة والجغرافيين[130] باسم هنن معرفين إياها بأنها قرية من نواحي اليمن أو باليمن دون تحديد في أي اليمن يقصد هؤلاء.

- **شُرْمَة:**

وتقع على شاطئ بحر العرب[131]، وقد ورد ذكرها لدى عدد من الرحالة أمثال: الزمخشري[132] الذي ذكرها موضعًا من دون تحديد مكان ذلك الموضع، وقال عنها ياقوت الحموي[133]: ((شُرْمَةُ: بضم أوّله، وسكون ثانيه، والشّرم: الشق في الأرض وغيرها، وشرمة: اسم جبل، قال أوس بن حجر:

تثوب عليهم من أبان وشرمة

وتركب من أهل القنان وتفزع))

- **طَمَامِ:**

وهي من المدن التي ذكرها ياقوت الحموي[134]، وأنها قُرب حضرموت، فقال عنها: ((طَمَامِ: مثل الذي قبله في البناء على الكسر، وهو اسم للفعل، من قولهم: جاء السيل فطمّ الركية إذا دفنها حتى يسوّيها بالأرض، ويقال للشيء الذي يكثر حتى يعلو: قد طمّ، وطمام: مدينة قرب حضرموت وبها جبل منيف شامخ، يقولون إن في ذروته سيفًا إذا أراد إنسان أن يبصره ويقلبه لم يرعه رائع، فإنْ أراد الذهاب به رجم من كل جانب حتَّى يتركه، فإذا تركه سكن الرجم، قيل: إنه كان لبعض الملوك فضنّ به على غيره فطلسمه بذلك، وهذا من الخرافات الكاذبة وإنما نذكر ما قيل للتعجب)). وقد حاولنا البحث عن هذه المدينة وتحديد موقعها بالقرب من حضرموت لكنَّنا لم نجد لها ذكرًا، ومن المؤكد أن هناك لَبْسًا حدث لدى ياقوت حول هذه المدينة، لاسيما وأنه قد ذكر بأن بها جبل يعرف بجبل منيف.

- **جَنْجَرَةُ:**

من المدن التي ورد ذكرها لدى بعض الرحالة والجغرافيين الذين أشاروا إلى أنها مدينة قرب حضرموت، كثيرة الخيرات[135]، وقد حاولنا البحث عنها وعن موقعها اليوم لكنَّنا لم نستطع تحديد موقعها ضمن أراضي حضرموت أو مهرة أو عُمان.

- **تنعم:**

يعرفها البكري[136] بأنها مدينة بحضرموت، ويقول عنها: ((بضمّ أوّله، وإسكان ثانيه، بعده عين مهملة مكسورة: مدينة بحضرموت)). ويذكر أنَّها سُمِّيَتْ بتنعم بن حضرموت بن سبأ الأصغر[137].

- **الجريمة:**

يقول البكري[138] عنها أنها من أكثر مدائن حضرموت خيرًا، وفيها بساتين ومياههم سبخ، لكنَّنا لم نجد أي معلومات عنها وعن موقعها وسكانها.

- **صَوْرَان:**

ذكرها الهمداني[139] ضمن بلدان حضرموت وتحديدًا عند حديثه عن مدن منطقة الكسر وقراها، فوصفها بقوله: ((قرية مقتصدة لتجيب من كندة)). وقام ياقوت الحموي[140] بالتعريف بها، وقدَّم عنها معلومات قيِّمة معتمدًا على ما جاء في كتب السير والتاريخ، فجمع بين المعلومات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية

لموقعها، ولمن نسب إليها من التابعين وتابعيهم، وأشهر الشخصيات التي حملت اسم صوران، لا سيما من ذاع صيتها في جوانب الحياة المختلفة من قضاء وغيره، وما شهدته من أحداث، فقال عنها: ((وصوران: قرية للحضارمة باليمن بينه وبين صنعاء اثنا عشر ميلًا[141]، خرجت منه نار، فثارت الحجارة وعروق الشجر حتى أحرقت الجنة التي ذكرت في القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحابَ الْجَنَّةِ ﴾[142]...، وقد نسب إليها سليمان بن زياد بن ربيعة بن نعيم الحضرمي الصوراني، روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، روى عنه ابنه غوث بن سليمان، وعبد الله بن لهيعة وغيرهما، ومات سنة 216[143]، وابنه أبو يحيى غوث بن سليمان الصوراني، ولّي قضاء مصر وكان من خيار القضاة، وأبو زمعة عرابي بن معاوية عن أبي بن نعيم عن عمرو بن ربيعة عن عبيدة بن جذيمة الحضرمي، قاله البخاري بالغين المعجمة، وقيل الصواب المهملة، روى عن فيتل وعبد الله بن هبيرة وغيرهما، وابنه زمعة بن عرابي الحضرمي ثمّ الصوراني يكنى أبا معاوية، روى عن أبيه وحفص بن ميسرة، روى عنه سعيد بن عفير وابنه محمد بن زمعة)).

- **قُشَاقِشُ:**

قرية في رأس جبل لتجيب. وتعد ضمن قرى وادي الكسر، ويقول أبو سليمان بن يزيد بن أبي الحسن الطائي فيها:

وأوطن منا في قصور براق
فمأود وادي الكسر كسر قشاقش
إلى قينّان كلُّ أغلب رائش
بهاليل ليسوا بالدُّناة الفواحش[144]

ويذكرها ياقوت[145] أنها بلدةٌ بحضرموت تسكنها كِنْدَة، ويقال لها كسر قشاقش، وهي اليوم بلدة خاربة بالقرب من حورة في جنوب غرب مدينة القطن، سُمِّيت نسبة إلى قبيلة قشاقش من كِنْدَه، وقد أطلق اسمها على مساحة من الأرض المجاورة لها وتُعرَف بكسر قشاقش، علمًا أنَّ القرية كانت في العصور القديمة مقراً لأحد ملوك كِنْدَه[146].

- **سَدْبِة:**

وصفها الهمداني[147] بالقرية، وقال عنها: ((قرية محمد بن يوسف التُّجيبي)). وفي موضع آخر يذكرها باسم سدية الرأس باليـاء وليس بالباء كإحدى قرى حضرموت، فقال عنها: ((وقرية يقال لها سدية[148] الراس فيها محمد ين يوسف التُّجيبي))[149].

- **تفيش:**

من قرى حضرموت غير المعروفة اليوم، يقول عنها البكري[150]: ((تفيش: بفتح أوّله، وكسر ثانيه، بعده الياء أخت الواو، والشين المعجمة، قرية من قرى حضرموت، وهي ومنوب ينزلهما بنو موصل – بفتح الميم – ابن جمّان بن غسّان بن جذام بن الصّدف بن مرتّع بن معاوية بن كندة))[151].

- **القَارَة:**

وهي عند العرب الأكمة أو التل المرتفع عن الأرض، أو الجبل المنقطع وفي رأسه بئر، وجمعها قار مثل راحة وراح وساعة وساع وقور أيضًا[152]، ويقول عنها ياقوت الحموي[153]: ((والقارة مستديرة صغيرة طويلة في السماء لا ينقادان في الأرض، وكلاهما غليظ الرأس، ويسميان جميعا أكمة)). ويقول في موضع آخر: ((القارة والقور وهو أصاغر الجبال))[154].

ويشير الهمداني[155] إليها ضمن قرى حضرموت القريبة من شبام ودوعن، ويصفها بالقرية العظيمة في وسطها حصن لقبيلة همدان. علمًا أن هناك عددًا من الأماكن التي أطلق عليها اسم القارة في حضرموت، وقد حصرها المقحفي[156]، وذكر منها: قارة عبدالعزيز: جنوب مدينة شِبَام، وقارة آل ثابت: في منطقة حَوْرَة من مديرية القطن، وقارة الشَّنَاهِز: في

نواحي مدينة سيئون، وقارة الغيل: في شمال غَيْل بن يُمَيْن التابعة للمكلا، وقارة جشير: الخاربة من ضواحي قرية بُوْر القريبة من مدينة سيئون، وقارة آل بُحيث: في منطقة يبعث بوادي حجر.

- **قرية هارون:**

وتنسب إلى هارون بن هود، وهي من أعمال دوعان (دوعن)، وفيها قبر ذي نيال بن هود عليه السلام الذي بناه النبي هود كما يذكر، ويبلغ طوله أربعون ذراعًا[157].

- **العَجْلاَنِية**[158]:

وهي من قرى منطقة الكسر التي ورد ذكرها لدى الهمداني[159]، وتعد من أقدم القرى الحضرمية المعروفة بالجنوب الغربي من مدينة القطن بوادي حضرموت، وتقع جوار جبل حوره، وتعرف باسم الكسر، ويقال لها عرض آل عامر نسبة إلى سكانها[160]، وينسب إلى العجلانية الشاعر عبد الله بن عجلان النهدي[161] الذي ولد بها سنة 25 قبل الهجرة، وكان من المُتَيَّمين الذينَ قتلَهُم الحُبُّ، وكان أبوه العجلان من سادات نهد وكبرائهم وذا رئاسة ونفوذ فيهم، ومما جاء عن عبد الله بن عجلان النهدي، قوله:

ألا إنّ هندا أصبحت عامريّة
وأصبحت نهديّا بنجدين نائيا
تحلّ الرّياض في نمير بن عامر
بأرض الرباب أو تحلّ المطاليا[162].

- **المزين:**

وهي من القرى التي ورد ذكرها لدى الهمداني[163] فقال عنها: ((المزين قرية ساكنها حمير)). لكننا لم نجد أي معلومات أخرى عن موقعها بالتحديد اليوم.

- **مَدُوْدة:**

ذكرها الهمداني[164] من دون تحديد طبيعتها أكانت قرية أم مدينة أو غير ذلك، وعرَّفها بعضهم بأنها بلدة قديمة تقع في سفح الجبل الشمالي عن سيئون[165].

- **مَنْوب:**

وهي من قرى منطقة الكسر في حضرموت، وتُنسَب إلى وادي منوب الذي يفيض عادة مع فيضان أودية أخرى مثل عين ودوعن بين شبام والقارة[166]، وينزل هذه القرية بنو موصل بن جمان بن غسان بن جذام بن الصدف بن مرتع بن معاوية بن كندة[167]، ويضيف البكري[168] عن موقعها بقوله: ((منوب بفتح أوّله، وضمّ ثانيه، وباء معجمة بواحدة بعد الواو: قرية من قرى حضرموت)) [169].

- **مُشْطة:**

قرية ورد ذكرها عند الهمداني[170] وقال فيها: ((مشطة قرية مقتصدة)) [171].

- **مَحَا**[172]:

جاء ذكرها لدى الهمداني[173] فقال عنها: ((مَحَا: قرية عظيمة))، وحدد موقعها بين مشطة والعجز، وتُعد أرض لكندة باليمن كما وصفها ياقوت الحموي[174].

- **العُجْز:**

وصفها الهمداني[175] بأنها من أعظم قرى حضرموت، وقال عنها: ((العجز قرية عظيمة مقسومة نصفين لحمير، كل نصف قرية لفرقة نصف للأشبا ونصف لبني فهد)). وتناول ذكرها ياقوت الحموي[176] نقلًا عن الكلبي، فقال: ((عُجْزُ... هي قرية بحضرموت في قول الحارث بن جحدم، وكان مزيد وعبدالله ابنا حرز ابن جابر العنبري أدّعيا قتل محمد بن الأشعث، فأقادهما مصعب به فقال الحارث بن جحدم، وهو الذي تولى قتلهما بيد القاسم بن محمد بن الأشعث:

تناوله من آل قيس سميذع
وريّ الزّناد سيّد وابن سيّد
فما عصبت فيه تميم ولا حمت
ولا انتطحت عنزان في قتل مزيد
ثوى زمنا بالعجز وهو عقابه
وقين لأقيان وعبد لأعبد

وهي من القرى التي اختلف الجغرافيين في تحديد موقعها، مع اتفاقهم على وجودها في حضرموت[177].

- **حِذْيَة:**

وصفها الهمداني[178] بالحصن، وأن من ينسب إليه يعرف بـ: حذوي، وذكرها ياقوت الحموي[179] بالكسر ثم السكون، وياء خفيفة مفتوحة، وقال عنها أرض بحضرموت، من دون أن يحدِّد تلك الأرض مدينة أو قرية أو حصن[180].

- **صَمَعٌ:**

قرية ذكرها الهمداني[181] ضمن قرى وادي رخية، وقد حاولنا البحث عنها وعن موقعها في هذا الوادي، وما دُوِّنَ عنها لكننا لم نجد لها ذكرًا في كتب الرحالة والجغرافيين ومعاجم البلدان إلا ما جاء به الهمداني.

- **سور بني حارثة:**

من قرى وادي رخية التي ورد ذكرها لدى الهمداني[182]، من غير أي إضافات أخرى عنها، وقد يكون هذا السور أقيم حول منطقة أو قرية سكنتها قبائل عرفت ببني حارثة في وادي رخية[183].

- **ثُوْبة:**

وصفها الهمداني[184] بإحدى قرى حضرموت المعروفة بمعالمها، فقال عنها: ((ثوبة قرية بسُفلى حضرموت في وادٍ ذي نخل، ويفيض وادي ثوبة إلى بلد مهرة، وحيث قبر هود النبي ﷺ، وقبره في الكثيب الأحمر ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف، وهو وادٍ يأخذ من بلد مهرة)). ويقصد بمهرة وادي سَيْحوت[185]، ويشير الحميري[186] إلى أن بها حصنًا عُرِف بحصن ثوبة، فيقول: ((حصن ثوبة: باليمن، ويقال إن فيه قبر هود النبي عليه الصلاة والسلام))[187].

- **تَفِيش:**

من قرى حضرموت المعروفة[188]، ذكر الهمداني[189] أنها لبني ذهبان من الصدف، ووصفها البكري[190] بقوله: ((تفيش بفتح أوّله، وكسر ثانيه، بعده الياء أخت الواو، والشين المعجمة: قرية من قرى حضرموت... ينزلهما بنو موصل، بفتح الميم، ابن جمّان بن غسّان بن جذام بن الصّدف بن مرتّع بن معاوية بن كندة)).

- **تَبَالَة:**

حمل اسم تبالة عددٌ من المدن والقرى التي حاول بعض الجغرافيين الحديث عن المهم منها، والتعريف بها[191]، من دون تحديد مواقع بعضها مما جعلنا في حيرة حول نسبة من ذكر منها إلى حضرموت أو غيرها[192].

المبحث الثالث- الحياة الاجتماعية في مدن حضرموت وقراها:

عند التعمق فيما جاء به ووثقه الرحالة والجغرافيون عن مناطق حضرموت ومدنها نلاحظ اهتمامهم الخاص بالنواحي الاجتماعية للسُكَّان، وأصولهم، وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم التي اختلفت من منطقة إلى منطقة ومن جماعة إلى أخرى، بما في ذلك لهجاتهم، وما نطق به لسان بعضهم، وقد حاولنا هنا البحث فيما دوّن عن سكان حضرموت من معلومات في الجانب الاجتماعي لرسم صورة عن طبيعة حياة الناس في ذلك الوقت بالاعتماد على مشاهدات مثل هؤلاء وملاحظاتهم التي تعد من أهم ما يمكن كتابته عن حضرموت ومدنها وسكانها في الوقت الراهن.

أولًا- التركيبة السُكَّانيَّة لمدن حضرموت:

سكنت حواضر حضرموت منذ القدم عددٌ من الأقوام والقبائل ذات الأصول العربية العريقة والمعروفة في الجزيرة العربية والمنطقة، كما وفدت عليها قبائل من شمال اليمن وغربها والجزيرة العربية وخارجها، وأقوام مهاجرة من السواحل الشرقية لأفريقيا ومن الهند والصين وفارس وغيرها بصورة فردية أو جماعية، للعمل في بعض المهن والحرف المطلوبة كالتجارة والصناعة أو الصيد أو الزراعة أو البيع والشراء، أو

التعليم في مدنها المعروفة، فشكل هؤلاء أساس التركيبة السكانية لهذه المنطقة الواسعة، إضافة إلى سكانها الأصليين الذين اندمجوا معهم ليكونوا مزيجًا سكانيًّا لاسيما في المناطق الساحلية التي كان أكثرُها قدومًا للوافدين على المنطقة، وقد حاول بعض الرحالة والجغرافيين الإشارة إلى سكان حضرموت وتقسيماتهم المشهورة وفروعهم الرئيسة، مشيرين إلى مناطق سكنهم، وهجرة من خرج منهم إلى مناطق حضرموت المختلفة أو جنوب غرب الجزيرة العربية وشمالها أو خارجها، وما ارتبط بهم من العادات والتقاليد التي وُثِّقَتْ عنهم، ويتحدث الرحالة السيرافي[193] عن بعض الأقوام التي سكنت بعض مناطق حضرموت ومدنها، مثل الشحر التي عدها ضمن مساكن أقدم أقوام العرب، كعاد وحمير وغيرهم، وقال في ذلك: ((بلاد الشحر... أرض من أراضي عاد وحمير وجرهم والتبابعة، ولهم ألسنة بالعربيّة عادية قديمة لا يعرف أكثرها العرب، وليست لهم قرى، وهم في قشف وضيق عيش)).

وفي موضع أخر يذكر السيرافي[194] الجماعات التي سكنت الشحر من قبائل العرب التي امتدت مساكنهم إلى بلاد المهرة، بقوله: ((وأهل الشحر أناس من قضاعة بن مالك بن حمير وغيرهم من العرب، ويدعى من سكن هذا البلد من العرب المهرة)).

كما سكنت حضرموت بمناطقها المختلفة قبائل متعددة ارتبط بعضها ببعض بعلاقات سِلمٍ وحَربٍ وثَّقها بعض الرحالة والجغرافيين، مثل: قبائل الصَّدف وكندة وتجيب والسَّكون وهمدان والصيعر وغيرها، علمًا أن فروع تلك القبائل مع مرور الوقت حدث في أنسابها نوع من التداخل، وتعددت فروعها التي توزعت في ربوع مدن حضرموت وقراها وسهولها وجبالها، ويقدم لنا الرحالة والجغرافي والنسابة الهمداني[195] معلومات عن بعض تلك القبائل وما تفرع منها لاسيما أنه من أكثر من كتب عن أنساب العرب، فقال في ذلك: ((وكان بحضرموت الصَّدف من يوم هم، ثم فاءت إليهم كندة بعد قتل ابن الجون يوم شعب جبلة لما انصرفوا من الغمر غمر ذي كندة، وفيها الصَّدف وتجيب والعباد من كندة، وبنو معاوية بن كندة ويزيد بن معاوية، وبنو وهب وبنو بدّا ابن الحارث وبنو الرايش بن الحارث وبنو عمرو بن الحارث وبنو ذهل بن معاوية وبنو الحارث بن معاوية، ومن السكون فرقة وفرقة من همدان يقال لهم المحاتل من ذي الجراب بن نشق، وهم مع كندة، وفرقة من بلحارث بن كعب بريدة الصيعر، وإليها تنسب الإبل الصّيعرية... والصيعر قبيلة من الصَّدف تنسب إليها ريدة))[196].

وتعد قبيلة تجيب من أهم القبائل التي وجدت في حضرموت، وأشهرها بطنان يقال لهما بنو سهل وبنو بدًّا، وكانوا في مائتي فارس، على رأسهم كما يذكر الهمداني[197] محمد بن الحصين التُّجيبي، كما وجد في بعض قرى حضرموت بطون أخرى من تجيب يقال لهما بنو حارثة وبنو محرَّية يترأسهم في المدة المذكورة حارثة بن نعيم ومحمد ومحرية أبناء الأعجم، وممن برز من رجالهم في بعض قرى حضرموت محمد بن يوسف التُّجيبي، كما اشتهر من تجيب بطن بني نعيم، ولهم قرى كثيرة بأودية حضرموت، ويشير الهمداني إلى تداخل بعض قبائل حضرموت كما يذكر عن قبائل الصدف وتداخلهم مع حمير، علمًا أن قبائل تجيب هم من ولد الأشرس بن كندة والسكاسك والسكون وبنو عامر بأبين والعباد ووين وماوية وبنو بكرة فهؤلاء ولد الأشرس بن كندة.

كما يذكر الهمداني[198] أيضًا من قبائل حضرموت بنو معاوية بن كندة، ويشير إلى أن بني يزيد بن معاوية وبني وهب بن معاوية وبني بدا بن الحارث بن معاوية، وبني الرائش بن الحارث بن معاوية وبني معاوية بن الحارث وبني ذهل بن معاوية الفقيد وبني

عمرو بن معاوية وبني الحارث بن معاوية، أنهم من بني معاوية بن كندة، وأن منهم الملوك المتوّجون، ويقال كان فيهم سبعون ملكًا متوَّجًا، أولهم ثور ومرتع أبناء عمرو بن معاوية، وآخرهم الأشعث بن قيس الكندي بن معدي كرب – كما يذكر –.

وفي الوقت نفسه، كانت فروع كثيرة من قبائل الأزد قد لحقت بنواحي بعض مناطق حضرموت وسكنتها، مثل ولد نصر بن الأزد الذين سكنوا نواحي الشَّحر[199]. بينما يذكر بعض الرحالة أسماء قبائل عربية كانت تسكن الشحر، وأنها خرجت منها، مثل: قبائل طي[200].

ويذكر البكري[201] أن بعض قبائل الصّدف اختطّت قبلي مهرة، فمضوا بخطتهم حتى لقوا حضرموت دون الصحراء، ولقوا مما يلي القبلة بني سعد من تجيب، مما يؤكد لنا الترابط الشديد الذي جمع بين قبائل حضرموت بحكم السكن في الأرض والتداخل الأسري. وحظيت قبائل الصَّدِف باهتمام خاص من قبل الجغرافي والرحالة ياقوت الحموي[202] الذي وعد في وقته بتأليف كتاب عن هذه القبيلة والقبائل اليمنية والحضرمية الأخرى على نفس نسق كتابه معجم البلدان الذي كان بين يديه عند تأليفه، لمعرفة نقاط الاختلاف والاتفاق حول نسب تلك القبائل، لاسيما قبيلة الصَّدِفُ التي قال عنها: ((الصَّدِف بالفتح ثمّ الكسر، وآخره فاء: مخلاف باليمن منسوب إلى القبيلة، والنسبة إليهم صدفيّ، بالتحريك، وقد اختلف في نسب الصَّدِف فقيل هو من كندة، وقيل من حضرموت وقيل غير ذلك، وقد عزمت بعد فراغي من هذا الكتاب أن أجمع كتاباً في النسب على مثال هذا الكتاب في الترتيب، فنذكره فيه مستقصى ونبين الاختلاف فيه على وجهه. قال الأصمعي: صدف البعير صدفا، إذا مال خفّه إلى الجانب الوحشيّ، فإنْ مال إلى الإنسيّ فهو القفد، والصّدف الميل مطلقًا)).

وعلى أية حال، عُرفت حضرموت بتنوع تركيبتها السكانية التي تناولتْها المصادر الجغرافية والبلدانية، وخصصت لها الكتب التي أعطت تلك القبائل حيّزًا من مادتها التاريخية، وتعد قبيلة قضاعة التي ذاع صيتها في عدد من البلاد العربية، من أهم تلك القبائل التي ورد ذكرها وأخبار بعض ملوكها في حضرموت والشحر، وقال عنها ابن فضل الله العمري[203] عند تعريفه بها: ((فمن بني حمير بن سبأ التبابعة، ومنهم: قضاعة، وهو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير، وكان قضاعة مالكا لبلاد الشّحر، وقبر قضاعة في جبل الشّحر)).

ومن بين أهم القبائل العربية الشهيرة التي سكنت حضرموت وامتدت أراضيها إلى أطراف الشحر قبيلة كندة التي لقيت اهتمامًا خاصًّا من قبل بعض الجغرافيين الذين قدموا لنا معلومات قيمة عن التركيبة القبلية والسكانية لبلاد حضرموت، وكان ابن فضل الله العمري[204] ممكن تناول ذكر هذه القبيلة وتسلسلها، وانتسابها إلى حضرموت فقال فيها: ((وأمَّا كندة، فهم بنو ثور، وثور هو كندة بن عفير بن عديّ بن الحارث من ولد زيد بن كهلان، وسمّي كندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته، وبلاد كندة باليمن تلي حضرموت)). وقد اشتهرت هذه القبيلة بتاريخها العريق، وملوكها المعروفين في كتب التاريخ في بلاد حضرموت وغيرها.

ثانيًا– عادات مدن حضرموت وتقاليد أهلها:

كانت حضرموت كغيرها من مناطق جنوب الجزيرة العربية التي تميزت بعدد من العادات والتقاليد المتنوعة التي دوَّنَتْها المصادر عن حياة الناس الاجتماعية والدينية والفكرية، وقد كان لطبيعة المنطقة سواءً كانت ساحلية أو سهلية أو جبلية دور في خصوصية عادات السكان وتقاليدهم من ناحية كرمهم وجودهم وأكلهم وشربهم ولبسهم واحتفالاتهم ومناسباتهم

الدينية والشخيصة وغيرها، وهو ما حاولنا البحث عنه وجمعه وتدوينه لنتعرف على ما جاء به هؤلاء الرحالة والجغرافيين عن حضرموت بمناطقها المختلفة.

1- الكرم والجود:

وثَّق عدد من الرحالة والجغرافيين عددًا من العادات الطيبة والتقاليد المتوارثة التي اشتهر بها أهل مدن حضرموت، وكان عادات الكرم والجود التي تميز بها الحضارم من الأمور التي دوَّنها مثل هؤلاء في كتبهم، لاسيما لمن هم على مذهبهم كما جاء عند بعضهم، ومما جاء في كتاب: حدود العالم[205] عن الحضارم أن من عاداتهم أن كل غريب يدخل مدينتهم ويصلي في مسجدهم، فإنهم يأتونه بالطعام ثلاث مرات في اليوم، ويكرمونه كثيرًا إلا أن يبدي معارضته لمذهبهم)).

ويشير ياقوت الحموي[206] إلى كرم بعض أهل الشِّحْر تحديدًا، ومدى استقبالهم للضيف، والقيام به على لسان أحد العرب الذي نزل ضيفًا على سادة المنطقة ومشايخها، فقال في ذلك: ((قدمتُ الشحر فنزلتُ على رجل من مهرة له رياسة وخطر فأقمت عنده أيّامًا)).

2- العدل:

على الرغم من شحة المعلومات التي دونت من قبل الرحالة والجغرافيين عن هذا الأمر غير أن بعض الإشارات لعدد من الجغرافيين دليل على عدل قضاة الحضارم، وأن منطقة حضرموت امتازت بالعدل الذي كان سببًا في قلة عدد المشكلات الاجتماعية التي توجد في أي مجتمع من المجتمعات، لا سيما بوجود قضاة وُصِفُوا بأحكامهم العادلة بين الناس، ويورد القزيني[207] قصة أحد هؤلاء القضاة الحضارم الذي شحَّت في فترة تولّيه مشاكلات الناس لأسباب كثيرة منها عدله بين أهالي المناطق التي تولَّى عليها، من دون الإفصاح عن اسمه أو موقعه، فقال في ذلك: ((منها القاضي الحضرمي (رحمه الله) لما ولي القضاء أتى عليه سنتان لمْ يتقدَّمْ إليه خصمان، فاستعفى الملك، وقال: إني آخذ معيشة القضاء ولا خصومة لأحد فالأجرة لا تحل لي! فاستبقاه الملك وقال: لعل الحاجة تحدث، إلى أن تقدمه خصيمان فقال أحدهما: اشتريتُ منه أرضًا فظهر فيها كنز قل له حتى يقبضها! وقال الآخر: إني بعت الأرض بما فيها والكنز له! فقال القاضي: هل لكما من الأولاد؟ قالا: نعم. فزوج بنت البائع من ابن المشتري، وجعل الكنز لوليهما وصالحا على ذلك)).

3- الطعام والشراب:

كما هو معروف أن أكثر المدن والقرى الحضرمية قامت على شاطئ بحر العرب، وقام بعضُها على حافة بعض الأودية الحضرمية المعروفة، وأنشئ بعضُها على قمم الجبال المحصَّنة، مما جعل لكل منطقة خاصيَّتها المرتبطة بالأطعمة المشهورة التي ارتبطتْ بطبيعة مناطقهم الجغرافية، مع تبادل منتجات تلك المناطق مع منتجات المناطق الأخرى التي أصبحت ضمن موائد المناطق الأخرى وطبخاتهم، فإذا نظرنا إلى بعض المناطق الساحلية التي ارتبط أهلها بالبحر نجد أن أكثر مأكولهم سمك العيد، وهو سمك صغار مع السكب واللبن يشابه الخردل في اللون[208]. وفيما جاء عن طعام الحضارم في مناطقهم أو المناطق التي هاجروا إليها فقد كان أكثر مأكولهم السمك والذرة والكنب، ومطعوم دوابهم السمك اليابس المعروف بالعيد، ويقال إنّما يقعدون الهريسة إلَّا بلحم السمك لا غير[209]. وكان أهالي الشحر ممن اعتمدوا في وجباتهم على الأسماك، لا سيما نوعيَّة محددة وهو المعروف بالوزف[210] ويقول ابن حوقل[211] في ذلك: ((أغذية أهل الشحر من سمك الوزف الذي أكبر ما يكون منه كالإصبع ودونها)). وأكل أهل الشحر الذين اعتمدوا على الصيد طعامهم مشوِيًّا لاسيما إذا ما جاءهم ضيف عزيز عليهم،

وكانت هذه من واجبات الضيافة لدى بعض كبار القوم من المشايخ والسادة[212]، علمًا أنَّ بقيَّة سكان حضرموت وقبائلها اعتمدوا في وجباتهم على خيرات أراضيهم وما تزرعه تربتهم من الحبوب بأنواعها والخضار والفواكه والتمور.

4- الملابس والزينة والمراكيب:

اهتم بعض الرحالة والجغرافيين بوصف أمور دقيقة ارتبطت بلُبْسِ أهالي بعض مناطق حضرموت وشكلهم ومنظرهم، وتعد هذه الجزائية من المواد ذات الأهمية التي قدمت لنا فكرة عن هذا الجانب المهم من حياة الناس الخاصة، ويمدُّنا الرحالة السيرافي[213] بمعلومات بسيطة ولكنها مهمة عن أهالي بلاد الشحر ولبسهم ونوعية تسريحة شعرهم، وأسلوب مخاطبتهم وحديثهم لبعض، وركوبهم التي كانت أساس تحركهم وسفرهم، ويقول في ذلك: ((سكن هذا البلد من العرب المهرة أصحاب شعور وجمم، ولغتهم بخلاف لغة العرب، وذلك أنهم يجعلوا الشين بدلًا من الكاف، ومثل ذلك قولهم هل لش فيما قلت لي وقلت لش أن تجعل الذي معي في الذي معش، وغير ذلك من خطابهم ونوادر كلامهم، وهم ذو فقر وفاقة، ولهم نجب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية، وتشبه بالسرعة بالنجب البجاوية، بل عند جماعة أنها أسرع منها فيسيرون عليها على ساحل بحرهم، فإذا أحست هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه قد ريضت لذلك واعتادته، فيتناوله الراكب)).

كما يصف لنا الرحالة ابن المجاور[214] ملابس أهالي حضرموت الرجالي والنسائي وأنواعها، وبعض الأمور المتعلقة بتسريحات شعر النساء وغيرها من الصفات التي اتصفوا بها، ويقول في ذلك: ((ولبس رجالهم الأزرق، مكشوفين الرؤوس حُفَاة، ولبس نسائهم الفتوحي، ويصبغ الثوب بالزاج، ويرجع اللون لا أخضر ولا أزرق إلَّا لون عجيب، وتضفر النساء رؤوسهم في أوسط رؤوسهم ترجع تشبه الهدهد يسمونه الطرطر وسحاب وكاب فداري أتطاعين الضفائر سأبين عسا سل القدور ذات المكدر)). ورغم بساطة المعلومات إلا أنها مهمة للباحث في هذا الجانب.

5- أسماء الحضارم وألقابهم الأسرية:

كان ابن المجاور من أكثر الرحَّالة الذين لفت نظرَهم التسميات والألقاب التي عرف بها الحضارم، لا سيما وأنه تعرف عددًا منهم في مدينة عدن وخالطهم، وعلق على ما شهاده وسمعه عنهم في كتاباته التي تناول فيها عددًا من عادات وتقاليد الناس، فقال عن هذا الجانب المهم: ((وأسامي رجالهم بالكنى فمنهم أبا لالكة، وأبا هالكة، وأبا مداس، وأبا فارس، وأبا رأس، وأبا عري، وأبا حصى... ومنهم جري على ألسنتهم يكنونه به، ولم يأنفوا من تلك الأسامي، وكذلك الدياكلة وأهل الموصل وبعض العرب وأهل نهاوند وبعض اليمن وأهل عسفان))[215].

6- عادات الخطبة والزواج والولادة:

ينفرد ابن المجاور[216] عن غيره من الرحالة والجغرافيين بذكر بعض العادات المتعلقة بالخطبة والزواج والولادة كأسلوب حياة اتبعه غالب سكان مناطق الجزيرة العربية بما فيها أهالي حضرموت كما نوه إلى ذلك، وقد جرت العادة عند الحضارم – كما يشير – أن لا تتم الخطبة أو الزواج أثناء موسم الحج؛ إذ يتم تأجيل ذلك إلى بعد انتهاء الموسم، وهذه العادات كانت متبعة في حضرموت ومكة وسائر أقاليم اليمن، فيذكر أنه إذا خطب زيدٌ بنتَ عمرٍو في العشر من ذي الحجة، يدخل عليها في العاشر من محرم، وعندما سأل ابن المجاور عن سبب ذلك، أفادوه أن المجتمع يعيش مع الحاج في كل فن من فنون الحج من إحرام وإحلال، فإذا رحل الحاج تمَّت الخطبة والنكاح والأفراح والأعراس بين الناس، وهي عادة اتبعها الجميع.

ومن العادات أنه عندما يدفع العريس المهر ويريد الدخول على العروس يخضب الرجال أيديهم، وأرجلهم تُزين، ويخرج إلى بيت العروس، فتُجْلَى عليه ويدخل عليها، ويبقى عندها سبعة أيام، ثم يخرج بعدها طلبًا للرزق، علمًا أن هناك بعض التقاليد التي تصاحب الزواج في حضرموت وبلاد اليمن وأبرزها ما يسمى بالطرح، وهي إسهام المدعوين رجالًا ونساء في العرس بمبلغ من المال يهدونه كُلٌّ على قدر حاله، ويظل هذا المبلغ دينًا على العروسين، عليهما ردُّه بمثله أو زيادة عليه، ويصف لنا ابن المجاور[217] طريقة الطرح؛ وهي أن الأهل والأصدقاء يدعون إلى الزواج فيحضرون وبيد كل واحد منهم قرطاس مكتوب عليه اسم الآتي مع وزن المبلغ وعدده يقدمه قدام العروس كل على حاله وسعة ماله، وكذلك تفعل النساء، وفي اليوم السابع يخرج العريس مبلغ الطرح الذي طرح له، فيصبح رأس مال بيده يستطيع به العيش واستثماره في أي من المشاريع المربحة، وعند ذلك يفتح له مثلًا دكانًا يعيش منه، ويكون ذلك الطرح دَينًا عليه، وكل مَنْ تزوج من القوم الذين حضروا العرس يرد إليهم الذي أخذه من القوم مثل الذي جاء به إليه أو أزيد منه، وكذلك يفعلون في سائر أقاليم اليمن. وكانت من عادات الولادة والختان في سائر البلاد بما فيها أراضي حضرموت أن يحتفل الناس بمثل هذه المناسبات، وتأتي النساء لزيارة المرأة بعد وضعها، وختان ولدها إذا كان ذكرًا، وتعد مناسبة طيبة لتقديم الهدايا المختلفة بما فيها وضع مبالغ مالية قد تكون بسيطة أو كبيرة كالطرح بجانب المولود، وبحسب صلة القرابة بالطفل وأمه وأبيه، وتكون تلك المبالغ سلفا أو دَينًا وجب عليهما ردُّها بمناسبة مماثلة لها، وهي تقاليد متعارف عليها في عموم اليمن وغيرها، وتدخل المرأة في العيب إذا تخلفت عن رد الطرح والهدايا التي قدمت لها وإذا لم تزد عليها كنوع من الكرم ورداً الجميل[218].

7- العلاج والتطبيب:

عانى أهالي حضرموت في المدة موضوع الدراسة من بعض الأمراض والأوبئة المعروفة وغير المعروفة كغيرهم من سكان جنوب الجزيرة العربية، وسعى أكثر الأهالي إلى علاج مرضاهم بطرق مختلفة، وكان من بين تلك الطرق أخذ المرضى إلى مناطق معروفة اشتهرت بمياهها الكبريتية الساخنة ذات الفوائد الصحية المختلفة وغسلهم بتلك المياه، أو البقاء فيها لمدة زمنية محدودة لعلاج عدد من الأسقام، مثل أمراض المفاصل والتهاباتها، وبعض الأمراض الجلدية، وأمراض الجهاز التنفسي وغيرها، وقد لفت مثل هذا الأمر أنظار بعض الرحالة والجغرافيين الذين أشاروا في كتاباتهم لبعض تلك المناطق التي كان الناس يتجهون لها كطب بديل لعلاج مرضاهم، ويشير الرحالة الادريسي[219] إلى أحد تلك المناطق القريبة من الشحر في حضرموت ويقول عنها: ((وبين شرمة ولسعا قرية كبيرة فيها حمة حامية كالجابية، وأهل تلك النواحي يتطهرون فيها، ويجلبون إليها مرضاهم فيصحون بها من آلامهم وأنواع أسقامهم)). في حين اتجه عدد منهم إلى إلى قبور الصالحين والأولياء والتقرب منهم بهدف الشفاء والرزق وغيره من المشكلات التي يوجهونها في حياتهم معتقدين بتلك القبول ومن فيها، علمًا أنها من الأمور الخرافية والشركية.

8- لغة أهل حضرموت:

تحدث سكان جنوب الجزيرة العربية كغيرهم من العرب اللغة العربية على الرغم من المؤثرات الخارجية الدخيلة على حياتهم بشكل أو بآخر وتحديدًا على بعض عاداتهم اليومية وتقاليدهم ولغتهم، فظهر ذلك التأثير واضحًا في لهجة سكان بعض المناطق لاسيما الساحلية منها، وكانت حضرموت من مناطق جنوب

الجزيرة العربية الشرقية التي تأثرت كغيرها بلغات الشعوب الأخرى التي ارتبطت بها اجتماعيًا وتجاريًا وعلميًا وغير ذلك، فظهر ذلك على لهجتهم وبعض المسميات الدخيلة، في حين نطق بعضهم بلكنة أو كما يسمّيها بعضهم لغة توارثوها منذ القدم، وكانت هذه الجزئية من الأمور التي اهتم بها الرحالة والجغرافيون وراحوا إلى تدوينها مشيرين إلى نماذج من كلمات تلك اللهجة أو اللغة، وفي حديث الرحالة السيرافي[220] عن أهل الشحر وامتداد أرضهم إلى بلاد مهرة أشار إلى موضوع لغة أهل هذه المنطقة – كما وصفها – مع إعطاء أمثلة لكلمات وحروف كانوا يتعاملون بها في حديثهم، معتبرًا ذلك من نوادر كلام العرب، فقال عنها: ((ولغتهم بخلاف لغة العرب، وذلك أنهم يجعلوا الشين بدلًا من الكاف، ومثل ذلك قولهم: هل لش فيما قلت لي وقلت لش أن تجعل الذي معي في الذي معش، وغير ذلك من خطابهم ونوادر كلامهم)).

ويقول الهمداني[221] عن لهجة أهل حضرموت وبعض قبائلها بأنهم ليسوا بفصحاء، بل إن بعض المناطق القريبة منهم تشبه لغتهم لغة العجم، بينما هناك من قبائل حضرموت من يتكلموا العربية الفصحاء، فيقول في ذلك: ((أهل الشحر والأسعا ليسوا بفصحاء، مهرة غتم يشاكلون العجم حضرموت ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصّدف)).

ويتحدث المقدسي[222] عن لغة أهل الجزيرة العربية، ويفصل في ذلك بالإشارة إلى أفصحها وأرداها، فيقول عنها وعن لغة أهل الأحقاف: ((وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة، إلا أن أصحّ بها لغة هذيل ثم النجدين ثم بقيّة الحجاز، إلا الأحقاف إن لسانهم وحش القراءات بمكّة على حرف ابن كثير، وباليمن قراءة عاصم ثم قراءة أبي عمرو مستعملة في جميع الإقليم)).

ويتناول الجغرافي البكري[223] موضوع لغة أهل حضرموت التي يدخلها في إطار جغرافية اليمن على اعتبار أنها لغة هذيل، وهو ما يخالف ما جاء عن المقدسي فيقول البكري في ذلك: ((حضرموت: باليمن معلومة، قال السّكّرى: لغة هذيل حضرموت، بضمّ الميم، وأنشد لأبى صخر:

حدت مزنة من حضر موت مريّة

ضجوج له منها مدرّ وحالب))

وهو ما يؤكد لنا أن لغة ولهجة بلاد حضرموت اختلفت فصاحتها من منطقة إلى أخرى مما دفع بمثل هؤلاء الرحالة والجغرافيين يختلفون في كتاباتهم عن هذه المنطقة التي تكلم بعض أهلها العربية الفصحى وتحدث بعضهم بلغة توارثوها عمّن سبقهم كأهالي مناطق الشحر القريبة من مهرة أو المتداخلة معها، وكسر بعضهم في لهجتهم العربية نتيجة لاختلاطهم ببعض الشعوب الوافدة على أراضي حضرموت للتجارة والعلم والعمل وغير ذلك.

المبحث الرابع– مقومات الحياة الاقتصادية لمناطق حضرموت ومدنها:

عُرِفت حضرموت ومدنها المختلفة تاريخيًا بمقوماتها الاقتصادية المتنوعة التي كان لها نصيب في كتابات الرحالة والجغرافيين بحكم بالموقع الاستراتيجي، والتنوُّع الطبيعي للمنطقة التي جمعت بين السهل والساحل والجبل والصحراء والوادي، فتميزت كل منطقة بمنتجاتها وثرواتها المختلفة التي تاجر بها أهلها، وإذا نظرنا إلى الجانب التجاري وأهم المنتجات التي اشتهرت بها مناطق حضرموت نجد أن هناك عددًا من السلع التي كان مصدرها هذه البلاد الطيبة التي تميزت عن غيرها بسلع صدرت بعضها، وفتحت للفائض منها المتاجر والحوانيت لبيعها لما لها من أهمية في حياة الناس، ومن أهم تلك السلع الحضرمية

المهمة: الصبر الحضرمي الذي استخدم في عدد من مجالات الحياة لا سيما في المجال الطبي والعلاجي للناس، وقد بلغ من جودة الصبر الحضرمي لأن يكون منافسًا للصبر السقطري الذي عُرِف في ذلك الوقت بجودته في الأسواق الداخلية والخارجية، ويقول الإدريسي[224] في ذلك: ((بالأحقاف وبلادها بلاد صغار وبها متاجر قليلة ويخرج منها الصبر الحضرمي، وهو دون الصبر السقطري، وربما سبكه الغشاشون للصبر فغشوا به الصبر السقطري)).

وقد كانت حضرموت كغيرها من سائر مناطق اليمن تصدر بعض منتجاتها إلى أقاليم العالم الإسلامي وغيرها لا سيما بعض المنتجات التي عُرِفت بأهميتها في ذلك الوقت، وهو ما أشار إليه الجغرافي البكري[225] الذي تحدث عن أهمها فقال: ((والسنان شجر الحمر، وهو التمر الهندي، وهو في أرض اليمن من حضرموت وغيرها، ومن هناك يتجهّز به في الآفاق، واللّك لا يكون إلّا في بلاد اليمن ويحمل إلى مصر في عيدانه ويحمل منه إلى سائر البلاد)).

وقد لفت موقع بلاد الشحر – كما أوضحنا سابقًا– على طريق سفن الهند والصين وغيرها نظرَ عددٍ من الرحالة والجغرافيين الذين وجدوا في ذلك ميزة أبرزت المنطقة وأشهرت أهلها ومنتجاتهم النادرة التي تنوعت نتيجة لرواجها العالمي، ويقدم الرحالة السيرافي[226] مشاهداته عن المنطقة وبحرها وبعض الأراضي الواقعة على شواطئها في جنوب الجزيرة العربية، ومشاهداته عن الشحر كأصل لسلعة اللبان، وأرض أقدم الأقوام وأكثرهم شهرة في حضرموت على الرغم من صعوبة طبيعة منطقتهم القاسية التي أثرت على من سكنها واستقرارهم، ويقول في ذلك: ((ففي هذا البحر الذي عن يمين الهند الخارج عن عُمان بلاد الشحر، وهي منابت اللبان)).

إضافة إلى ذلك عرفت حضرموت بخيراتها التي اشتُهِرت بها منذ القدم، وبثرواتها الوفيرة التي تنوعت مصادرها بين البر والبحر، وبحكم وقوعها على ساحل طويل فقد ظهرت في شواطئها أنواعًا من الثروات التي كان منبعُها البحر، ويشير الرحالة السيرافي[227] إلى أهم تلك الثروات والمتمثلة بالعنبر الذي كان يعد من أهم السلع ذات الرواج في مختلف أسواق العالم بحكم استخداماته المختلفة في تصنيع عدد من المتطلبات الإنسانية، ويشير الرحالة المذكور إلى أهم مواقع الحصول عليه في حضرموت، فيقول في ذلك: ((وذلك أن العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب)).

ويصف الجغرافي ابن حوقل[228] بعض خيرات مناطق حضرموت لا سيما الشِّحْر، وطبيعتها الصعبة، وطعام أهلها وثرواتهم التي كان أكثر مصادرها البحر دون غيره، وتربية المواشي، فيقول عنها: ((بلاد قفرة... وليس بها نخل ولا زرع، وإنّما أموالهم الإبل والمعز والإبل والدوابّ، تعلف السمك الصغار المعروف بالوزف، وهم وسائر حيواناتهم لا يعرفون الخبز ولا يأكلونه، وأكلهم السموك والألبان والتمور، ولهم نجب من الإبل تفضّل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب، واللبان الذي يستعمل بالآفاق من هناك)).

وعند حديث الرحَّالة ياقوت[229] عن الشِّحْر، يشير إلى أهم خيراته التي نسبت إليه كالعنبر وغيره، فيقول في ذلك: ((وإليه ينسب العنبر الشحري لأنّه يوجد في سواحله، وهناك عدة مدن يتناولها هذا الاسم)).

عرفت حضرموت تاريخيًا بثرواتها الحيوانية التي ارتبطت بحياة الناس في الصحراء أو الأودية والجبال، حيث تنوعت استخدامات تلك الثروة في مجالات مختلفة كحاجتهم لها في السفر والترحال، أو في حراثة الأرض، أو الحصول على اللحوم والشحوم والألبان والجلود التي يحتاجها الناس في أي مجتمع من

المجتمعات، وكانت النُّجُب[230] من الجمال من أكثر البهائم التي تعامل معها أهالي حضرموت عبر الزمن، فقال عنها السيرافي[231]: ((ولهم نُجُبٌ يركبونها بالليل تُعرَف بالنُّجُبِ المهربة وتشبه بالسرعة بالنجب البجاوية[232]، بل عند جماعة انها أسرع منها فيسيرون عليها على ساحل بحرهم، فإذا أحست هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه قد ريضت لذلك واعتادته، فيتناوله الراكب)).

كما اشتهرت حضرموت بنوع خاص من الإبل نسبت إلى قبائل الصيعر، وعُرِفت تاريخيًا بالإبل الصّيعرية[233]. ويشير صاحب كتاب حدود العالم[234] إلى بعض ثروات الثِّحْر الطبيعية، والحيوانية، والزراعية بقوله: ((ترتفع منها الجمال الجيدة، ويؤتى منها باللبان الذي يحمل إلى الآفاق)).

وبحكم وقوع بلاد الشحر على ساحل بحر العرب أصبحت حضرموت إحدى محطات التجارة والوقوف للحجاج والمسافرين عبر الساحل من بلاد عُمان إلى جنوب غرب الجزيرة العربية وشمالها إلى مكة المكرمة وغيرها، ومكانًا لإقامة الأسواق والبيع والشراء، ويقول عنها ابن خرداذبة[235]: ((وأما من عُمان إلى مكة فعلى طريق الساحل المنازل فرق عوكلان ساحل مناه بلاد الشحر مخاليف كندة مخاليف عبد الله بن مذحج مخلاف لحج أبين عدن مغاض اللؤلؤ)).

وعلى أية حال، فقد لفتت مناطق حضرموت ومدُنُها نظر بعض الرحالة والجغرافيين الذين كتبوا عنها بإعجاب لما كانت تملكه من مقومات اقتصادية جذبت إليها الباحثين عن الرزق والمال، وأصبح يُنصح بها لمن أراد الثراء، لا سيَّما وأنها كانت من المناطق التي اشتهرت بتجارة اللبان وغيره من السلع ذات الرواج العالمي في ذلك الوقت، ويعد الجغرافي والرحالة ابن خرداذبة[236] من أوائل مَنْ تحدَّث عنها ونصح بها في كتاباته، فقال في ذلك: ((الشحر وهي بلاد الكندر، قال الشاعر: أذهب إلى الشحر ودع عُمانا إلّا تجد تمرًا تجد لبانًا)).

كما اشتهرت بلاد الشحر عن غيرها بالعنبر الذي يخرج على سواحلها كأفضل أنواع العنبر في المنطقة لجودته التي بسببها استعمل في العديد من الصناعات ذات الرواج في ذلك الوقت، ويقول اليعقوبي[237] في ذلك: ((حدَّثني أبي عن أبيه عن أحمد بن أبي يعقوب أنه قال: العنبر أنواع كثيرة وأصناف مختلفة ومعادنه متباينة، وهو يتفاضل بمعادنه وبجوهره، فأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لونا، وأصفاه جوهرا وأغلاه قيمة العنبر الشحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن، وزعموا أنه يخرج من البحر في خلقة العنبر أو الصخرة الكبيرة)).

ويشير الرحالة السيرافي[238] إلى أهم مواقع الحصول على أجود أنواع العنبر المطلوب في ذلك الوقت في حضرموت وغيرها، مشيرًا إلى أكثر مناطق انتشاره في الجزيرة العربية وتحديدًا في سواحل الشحر المعروفة بخيراتها، إذ يقول في ذلك: ((وذلك أن العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب)).

ويقول البكري[239] أيضًا عن الشحر وما تميزت به من ثروات تنوعت مصادرها وأنواعها، وكانت سببًا في لفت النظر إليها: ((وعندهم أجود العنبر، وهو المدوّر الأزرق النّادر، ولهم نجب يركبونها على السّاحل، فإذا أحسّت بالعنبر بركت عليه، قد ريّضت لذلك واعتادته، وبهذا السّاحل يكون الكندر ومنه يحمل، وأجود العنبر أيضا بجزائر الزّنج... ويعرف ذلك العنبر العطّارون بالعراق وبالهند)).

ومن الثروات التي اشتهرت بها سواحل الشحر في حضرموت والجزيرة العربية ووثق ذكرها الجغرافيون بوصفها من الثروات التي خصت بها هو انتشار اللؤلؤ الجيد الذي قال عنه البكري[240]: ((ذكر ما خصّت به جزيرة العرب من ذلك اللؤلؤ الجيّد القطري

يكون بناحية الشحر لا يوجد مثله، وقد وجد في جزيرة... لؤلؤة لا يعلم أنّه وجد في مغاصّ اللؤلؤ مثلها في كبرها، وصفائها، واستواء خلقها وأجزائها، وتسمّى اليوم عند الملوك باليتيمة لانفرادها عن النظائر))".

إضافة إلى ما تمَّ ذكرُه من خيرات حضرموت والشحر؛ يضيف البكري[241] معلوماتٍ قيّمةً ومهمَّةً عن بعض الثروات الزراعية ذات الرواج الكبير في ذلك الوقت على مستوى العالم لما لها من أهمية في حياة الناس المختلفة، فكانت سببًا في انتعاش تجارة المنطقة في حضرموت داخليًا وخارجيًا، ومن تلك المنتجات التي كانت تصدر إلى موانئ الهند والصين وخراسان وغيرها، اللّوبان (اللُّبَان)[242] الذي يذكر أنه لم يكن يوجد إلّا باليمن في بلاد الشحر وحضرموت، ومنها يجهّز ويصدر إلى بلاد الهند والصين وإلى خراسان وإلى جميع الأقطار التي ارتبطت مع حضرموت بعلاقات تجارية، ويصف الجغرافي البكري أشجارها بأنها مثل أشجار التوت، إلّا أنّها لا تُورِق بل تحمل أغصانها كلّها، ويشير من سبقه من الجغرافيين إلى هذه الشجرة وأنه في الشحر منابت اللبان التي لم توجد في مكان أخر وبتلك الجودة[243].

وفي موضع آخر يذكر البكري[244] منتجات نباتية أخرى كانت تزرع في حضرموت، وتعد من أهم السلع التي تُصدَّر إلى الخارج، مع عمل مقارنة بينها وبين أفضل الأنواع المشابهة لها في مناطق الثقل التجاري في العالم، فقال فيها: ((الكندر واللّكّ[245] أيضا يكون في الشحر، وحمله كذلك كحمل اللّوبان (اللبان)، ولكّ الهند والصّمغ العربي، وهو من شجر الطّلح والمقل[246] لا يكون إلّا باليمن، ومن هناك يحمل إلى جميع البلاد، والسنان شجر الحمر، وهو التمر الهندي، وهو في أرض اليمن من حضرموت وغيرها، ومن هناك يتجهّز به في الآفاق، واللّك لا يكون إلّا في بلاد اليمن ويحمل إلى مصر في عيدانه ويحمل منه إلى سائر البلاد. والصّبر يكون في بلاد اليمن وأجوده صبر سقطرى، والقلقلان[247]، والقسط[248] الحلو، والورس هذه كلّها من بلاد اليمن ومنها تحمل إلى أقطار البلاد)).

وفي الجانب الصناعي والحرفي امتهن بعض أهالي حضرموت الصناعات الضرورية في حياة الناس اليومية لما لها من أهمية، وكان من أشهر تلك الصناعات صناعة السُّروج المعروفة بالسروج الحضرمية التي استخدمها الحضارم على الجمال والحمير وغيرها، وعلى ما يبدو أنها صنعت بطريقة متقنة حتى تجعل الهمداني[249] يذكرها بالاسم كسروج مميزة في ذلك الوقت.

الخاتمة:

لقد توصَّلْنا في بحثنا الموسوم بـ : ((المدن والبلدات الحضرمية في كتابات الرحالة والجغرافيين (من القرن 3 – 7هـ/ 9 – 13م))، إلى عدد من النتائج، أهمها:

1- شهرة موقع حضرموت وسعة أراضيها في المدة موضوع الدراسة على الرغم من اختلاف كتابات الرحالة والجغرافيين عنها وعن حدودها الجغرافية التي كانت تضيق وتتسع بحسب مراحل التاريخ.

2- قيام عدد من المدن والقرى والبلدات الحضرمية على تلك المساحة، وتحديدًا على ضفاف الأودية، ومجاري المياه، والشواطئ المهمة، وقمم الجبال، وتميزها بعدد من الصفات التي لمْ نجدها في غيرها من مدن الجزيرة العربية وقراها، من ناحية البناء والمعمار المتميز، ونوعية مواد التشييد، والارتفاع اللافت للنظر، وتشييد القصور والبيوت فيها، والمساجد والمدارس الشهيرة، والأسوار والحصون المنيعة التي كانت سببًا في الحفاظ عليها مع تعرُّضها لبعض الغزوات التي دمَّرت بعضَها على الرغم من بقاء ذكرها ومعرفتنا بها عبر ما دونه الرحالة

والجغرافيون وغيرهم.

3- أصالة قبائل تلك المدن والبلدات وأنسابهم العربية المعروفة، وتميز عدد منهم بالكرم والجود، وبالعادات والتقاليد التي دلت على مدى التماسك والتكافل الاجتماعي بينهم، على الرغم من الحياة البسيطة التي عاشها مثل هؤلاء، وأطعِمَتهم التي اعتمدت على خيرات منتجات مزارعهم وبحرهم.

4- تميُّز المجتمع الحضرمي بالهجرات المتعدّدة إليه بصورة فردية أو جماعية، والشيء نفسه بالنسبة لهجرات الحضارم إلى مختلف بقاع الأرض، ونقل صور وأنواع من عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الإسلامية السمحاء الممزوجة بالصدق والأمانة والإخلاص في العمل والتعامل، حتى كانت صفة تميز بها العرب من الحضارم عن غيرهم من الأقوام العربية وغيرها.

5- وقوع عدد من مدن حضرموت وبلداتها على خطوط التجارة المحلية والدولية، ليُصبح بعضُها محطَّاتٍ لقوافل التُجَّار والحُجَّاج والمعتمرين والمسافرين وغيرهم، وموقع لإقامة الأسواق التجارية، والبيع والشراء، ومكان للترويج للسلع والمنتجات الحضرمية الشهيرة.

6- تميزت مدن حضرموت وبلداتها بمنتجات ذات رواج عالمي خلال ذلك الوقت، واكتسابها سمعة واسعة لأهميتها في حياة الناس الخاصة والعامة، مثل: اللبان والعنبر والصبر وغيرها من السلع التي كان مصدرها مزارع حضرموت أو بحرها وجبالها.

الهوامش:

(1) الصفة، ص85.
(2) معجم البلدان، 2/ 28، 269 – 270.
(3) تاريخ المستبصر، ص281.
(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص88 – 89؛ الحموي، معجم البلدان، 2/ 270.
(5) معجم ما استعجم، 1/ 119 – 120.
(6) معجم البلدان، 1/ 115 – 116.
(7) تاريخ المستبصر، ص282.
(8) سورة الأحقاف، الآية (21).
(9) السقاف، إدام القوت، ص43.
(10) معجم البلدان، 5/ 442.
(11) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص282.
(12) معجم البلدان، 2/ 138.
(13) المسالك والممالك، ص144.
(14) انظر: ابن حرداذبة، المسالك والممالك، ص138؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص88؛ الحموي، معجم البلدان، 2/ 270؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، 1/ 409.
(15) الصفة، ص48.
(16) الصفة، ص58.
(17) الصفة، ص2.
(18) الجغرافيا، ص118.
(19) مسالك الأمصار، ص25. وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، 1/ 38؛ الحموي، معجم البلدان، 2/ 270.
(20) مجهول، ص172.
(21) أحسن التقاسيم، ص27.
(22) أحسن التقاسيم، ص53.
(23) أحسن التقاسيم، ص70.
(24) الأماكن ، ص361.
(25) آثار البلاد، ص35 – 36.
(26) آثار البلاد، ص36.
(27) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص248.
(28) الإصطخري، المسالك والممالك، ص14؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص19.
(29) معجم ما استعجم، 1/ 9.
(30) معجم البلدان، 2/ 270.
(31) انظر: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، 2/ 779.
(32) العزيزي، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، ص25.
(33) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص281.
(34) الإدريسي، نزهة المشتاق، 1/ 65.
(35) الصفة، ص87.
(36) الصفة، ص45.
(37) الصفة، ص86 – 87.
(38) نزهة المشتاق، 1/ 154.
(39) معجم البلدان، 2/ 28، 270.
(40) معجم البلدان، 3/ 318.
(41) تاريخ المستبصر، ص279.
(42) تاريخ المستبصر، ص280.
(43) معجم البلدان، 3/ 318.
(44) الصفة، ص87.
(45) الصفة، ص177.
(46) معجم ما استعجم، 1/ 311.
(47) الجبال والأمكنة، ص68.
(48) معجم البلدان، 2/ 28.
(49) الجغرافيا، ص101.
(50) سوف يتم التعريف بالسعا وغيرها من المناطق لاحقًا.
(51) تاريخ المستبصر، ص285.
(52) الضرس المكان الذي جعل فيه تضاريس، ويبدو المكان المرتفع. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/ 1359.
(53) تاريخ المستبصر، ص285 – 286.
(54) سوف يتم الحديث عنها لاحقاً.
(55) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص286.
(56) نزهة المشتاق، 1/ 56.
(57) معجم البلدان، 3/ 327.
(58) رحلة السيرافي، ص88.
(59) صورة الأرض، 1/ 38.
(60) ابن حوقل، صورة الأرض، 1/ 39.
(61) مجهول، ص173.
(62) معجم ما استعجم، 3/ 783.
(63) الجبال والأمكنة، ص68.
(64) معجم البلدان، 2/ 138.
(65) معجم البلدان، 3/ 327.
(66) رحلة السيرافي، ص119.
(67) رحلة السيرافي، ص119.
(68) المسالك والممالك، ص192.
(69) الصفة، ص203.
(70) المسالك والممالك، 1/ 154 – 155.
(71) مراصد الاطلاع، 2/ 785.
(72) المسالك والممالك، 1/ 155.
(73) انظر: المركز الوطني للمعلومات، التقسيم الإداري لمحافظة حضرموت، مديرية الشحر، 2010م.
(74) الصفة، ص45، 87، 216.
(75) الإدريسي، نزهة المشتاق، 1/ 55.
(76) الجغرافيا، ص101.

(77) أحسن التقاسيم، 1/ 70.
(78) الصفة، ص86 – 87.
(79) معجم البلدان، 2/ 484.
(80) الصفة، ص86، 87.
(81) الصفة، ص 85 – 86.
(82) معجم البلدان، 4/ 129؛ 5/ 392.
(83) الأكوع، البلدان اليمانية، ص302؛ المقحفي، معجم البلدان، 2/ 1802.
(84) المقحفي، معجم البلدان، 1/ 719.
(85) الصفة، ص85.
(86) الهمداني، الصفة، ص 85 – 86.
(87) الهمداني، الصفة، ص 87.
(88) انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص137، 189، 190؛ الهمداني، الصفة، ص66، 111، 186، 188؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، 1/ 147؛ الحموي، معجم البلدان، 2/ 43؛ 3/ 112، 195؛ 5/ 70.
(89) انظر: المقحفي، معجم البلدان، 1/ 720 – 721؛ السقاف، إدام القوت، ص1034 – 1035.
(90) الصفة، ص85.
(91) معجم البلدان، 4/ 77.
(92) الحموي، معجم البلدان، 5/ 152.
(93) السقاف، ص290، حاشية رقم (2).
(94) الهمداني، الصفة، ص87.
(95) الصفة، ص87.
(96) الهمداني، الصفة، ص85، 86.
(97) معجم ما استعجم، 2/ 515. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، 2/ 472؛ 5/ 592.
(98) ياقوت، معجم البلدان، 5/ 392.
(99) الحموي، معجم البلدان، 2/ 472؛ 4/ 161؛ 5/ 392.
(100) الهمداني، الصفة، ص85؛ البكري، معجم ما استعجم، 2/ 515، 557؛ ياقوت، معجم البلدان، 5/ 392.
(101) الهمداني، الصفة، ص85، 86.
(102) البكري، معجم ما استعجم، 2/ 557.
(103) معجم البلدان، 2/ 472؛ 5/ 395. وانظر: الزمخشري، الجبال والأمكنة، ص128.
(104) معجم البلدان، 1/ 622 – 623.
(105) السقاف، إدام القوت، ص968 –969.
(106) محجر الزرقان: قرية في وادي نعام شمال مدينة شبام بحضرموت. المقحفي، معجم البلدان، 3/ 92.
(107) ياقوت، معجم البلدان، 3/ 137.
(108) مدينة مشهورة بوادي عين، وهي منطقة زراعية تكثر حولها النخل والسدر. السقاف، إدام القوت، ص437.
(109) الصفة، ص86.
(110) بنو بدا بطن من تجيب. السقاف، إدام القوت، ص437، حشية رقم (2).
(111) الصفة، ص88.
(112) معجم البلدان، 2/ 1421.
(113) معجم البلدان، 3/ 95.
(114) معجم البلدان، 5/ 67.
(115) انظر: المقحفي، معجم البلدان، 1/ 712.
(116) من أقدم بلدان وادي حضرموت، وتقع على بعد ثلاثة أميال إلى الغرب من مدينة سيئون، وكان أغلب سكانها من نسل الصدف انظر: السقاف، إدام القوت، ص650 – 664؛ المقحفي، معجم البلدان، 1/ 228.
(117) الصفة، ص87.
(118) الصفة، ص177.
(119) معجم ما استعجم، 1/ 310.
(120) الصفة، ص87.
(121) معجم البلدان، 5/ 429 – 430. وانظر: القزويني، آثار البلاد، ص131.
(122) تَنْعة اليوم قرية في شرقي وادي حضرموت، فيما بين قرية فُعْمَة وقبْر النبي هود، من أعمال مديرية سيئون، وإليها يُنْسَب وادي تَنْعة ذو السبعة الأودية. انظر: المقحفي، معجم البلدان، 1/ 242.
(123) معجم ما استعجم ، 1/ 321.
(124) الأماكن، ص164.
(125) معجم البلدان، 2/ 49.
(126) هَيْنَن: مدينة في أعلا وادي حضرموت، غربي القَطَن ومن أعمالها، كانت عاصمة أولى لمملكة بدر بن عبدالله أبو طويرق الكثيري (902 – 977هـ/ 1496 – 1569م) إضافة إلى سيئون. المقحفي، معجم البلدان، 2/ 1840.
(127) الصفة، ص85.
(128) الصفة، ص86.
(129) الصفة، ص88.
(130) انظر: الحموي، معجم البلدان، 5/ 419؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، 3/ 1466.
(131) الإدريسي، نزهة المشتاق، 1/ 55. شرمة اليوم بالشحر شرقي الديس إلى جنوبه على مسافة صغيرة جدًا، وهي لسان رملي صغير كان قديمًا مركزًا بحريًا ثانويًا، وتعد اليوم محمية طبيعية للسلاحف العملاقة التي تتواجد بكثرة هناك. المقحفي، معجم البلدان، 1/ 863.
(132) الجبال والأمكنة، ص197.
(133) معجم البلدان، 3/ 338.
(134) معجم البلدان، 4/ 41.
(135) الحموي، معجم البلدان، 2/ 168.
(136) معجم ما استعجم، 1/ 321، 311.
(137) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 311.
(138) المسالك والممالك، 1/ 367.

(139) الصفة، ص85، 88.
(140) معجم البلدان، 3/ 433.
(141) حدد السقاف موقع صوران بأنه يقع في شرقي القارة وقعوضة، مشيرًا إلى قدم هذه القرية التي تنتشر كتابات المسند على حجارة مبانيها العتيقة. إدام القوت، ص471 – 473. في حين يذكر المقحفي صوران بأنها اليوم تحمل اسم وادٍ شرقي مدينة قعوضة الواقعة في منطقة حورة من مديرية القطن بوادي حضرموت. معجم البلدان، 1/ 924.
(142) سورة القلم، الآية (17).
(143) (ت: 216هـ/ 832م).
(144) الهمداني، الصفة، ص85، 88.
(145) معجم البلدان، 4/ 350، 460.
(146) المقحفي، معجم البلدان، 2/ 1275.
(147) الصفة، ص86.
(148) قرية من مركز حورة بمديرية القطن بوادي حضرموت، تنتشر حولها مزارع النخيل والكرم وأشجار السدر. المقحفي، معجم البلدان، 1/ 780.
(149) الصفة، ص88.
(150) معجم ما استعجم، 1/ 316 – 317.
(151) يناقش السقاف ما ورد عن البكري عن قرية تفيش ويقول أنه لا يعرف اليوم في حضرموت موضع بهذا الاسم، وإنما هناك قريتان يقال لكل منها: الفشلة إحداهما في عرض آل مخاشن، والثانية في وادي منوب شرقي قرية منوب. إدام القوت، ص480.
(152) الهمداني، الصفة، ص 141، 142.
(153) معجم البلدان، 2/ 161.
(154) معجم البلدان، 4/ 411.
(155) الصفة، ص86.
(156) معجم البلدان، 2/ 1234 – 1235.
(157) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص286.
(158) في تعريف صاحب كتاب: "إدام القوت" العجلانية يذكر أنها تقع في سفح جبل لذاهب إلى جهة الجنوب، وأنها لآل عمر بن جعفر الكثيريين، الذين يصفهم بشدة البخل، وأنهم لا يقرون ضيف، ولا يؤوون طارقًا، دون تحديد سببٍ لهذه الصفات التي قد يكون فيها نوع من المبالغة من قبل المؤلف. انظر: السقاف، ص475.
(159) الصفة، ص88.
(160) المقحفي، معجم البلدان، 2/ 1021.
(161) للمزيد عنه انظر عنه: السمعاني، الأنساب، 13/ 216.
(162) الحموي، معجم البلدان، 3/ 23.
(163) الصفة، ص88.
(164) الصفة، ص87.
(165) للمزيد من التفاصيل عنها. انظر: السقاف، إدام القوت، ص668 – 673. وهي اليوم مدينة كبيرة في شمال مدينة سيئون بوادي حضرموت. المقحفي، معجم البلدان، 2/ 1467.
(166) الهمداني، الصفة، ص86، 88.
(167) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 316 – 317.
(168) معجم ما استعجم، 4/ 1273.
(169) ومنوب اليوم وادي في جنوب الباطنة، يصب إلى وادي العين في دوعن، يسكنه آل نهيد من المقاديم. السقاف، إدام القوت، ص479 – 480؛ المقحفي، معجم البلدان، 1/ 1664 – 1665.
(170) الصفة، ص87.
(171) الحداد، الشامل، ص465، 532.
(172) يذكرها المقحفي بالخاء مَخَا وليس بالحاء، وأنها مدينة عظيمة وقديمة في حضرموت بين العجز ومشطة. معجم البلدان، 3/ 23.
(173) الصفة، ص87.
(174) معجم البلدان، 5/ 59.
(175) الصفة، ص87.
(176) معجم البلدان، 4/ 87.
(177) عرفها الأكوع بكسر العين والجيم، وأنها قرية عامرة شرق حضرموت، وتسمى المنطقة التي تقع فيها باسمها. البلدان اليمانية، ص201، حاشية رقم (3). ويذكر المقحفي منطقتين بحضرموت باسم عَجَز أحداها بفتحتين، وهي قرية في منطقة الضِليعة من مديرية دوعن، والثانية العُجْز بضم فسكون، وهي قرية في نواحي مدينة تريم من مديرية سيئون، تسكنها بعض قبائل صِنْهَاجة الحميرية، ويبدو أن الثانية هي من جاء ذكرها عند الهمداني. معجم البلدان، 2/ 1020.
(178) الهمداني، الصفة، ص87.
(179) معجم البلدان، 2/ 233.
(180) تعرف حذية اليوم بأنها مدينة تاريخية قديمة في منطقة القطن، تزخر بعدد من الآثار المطمورة، وبعض الخرائب التي ما تزال قائمة هناك رغم الزمن. المقحفي، معجم البلدان، 1/ 440.
(181) الصفة، ص84.
(182) الصفة، ص84.
(183) بالبحث عن بني حارثة في بعض معاجم البلدان يشير المقحفي إلى آل باحارثة، وأنهم من قبائل كندة، سكنوا في نواحي سيئون وشبام والغرفة ومدودة. معجم البلدان، 1/ 387.
(184) الصفة، ص87.
(185) المقحفي، معجم البلدان 1/ 267.
(186) الروض المعطار، ص203.
(187) يُعرِّف بعضهم ثوبة بالفتح ثم السكون، وأنها اليوم أطلال لقرية قديمة ما تزال ظاهرة تحتوي على حصن خارب، تقع في أسفل وادي حضرموت، شمال غرب بلدة السَّوم من مديرية سيئون، وبين أطلال هذا المدينة آثار كثيرة مطمورة بالتراب، وخلف ثوبة تأتي قرية قُعْمَة، ثم قُبَّة قبر النبي هُود ، وجاء عن بعض علماء المنطقة أنه قد وجد بين خرائب ثوبة نقود مضروبة من الذهب لم يكن لها مثيل، وكتابات حميرية تدل على أنها تحتوي على كنوز كثيرة مدفونة. السقاف، إدام القوت، ص1010 – 1011؛ المقحفي، معجم البلدان 1/ 267.
(188) يذكر صاحب كتاب: "إدام القوت": أنه لا يوجد موضعٌ بهذا

الاسم في تلك النواحي، وإنما هناك قريتان يقال لكل واحدة منها الفشلة، إحداهما في عرض آل مخاشن، والثانية في وادي منوب شرقي قرية منوب، ويعتقد أن إحداهما هي المقصودة. السقاف، ص480. في حين يذكر المقحفي أن تفيش غير معروفة اليوم، وأن هناك قرية تحمل نفس الاسم تقع غربي مدينة تريم بوادي حضرموت. معجم البلدان، 1/ 235.

(189) الصفة، ص87، 89.

(190) معجم ما استعجم، 1/ 316 – 317.

(191) انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص134، 188؛ الهمداني، الصفة، ص127، 173؛ البكري، معجم ما استعجم، 1/ 301؛ 2/ 673؛ الحازمي، الأماكن، ص153؛ الحموي، معجم البلدان، 2/ 9.

(192) يعرّفها إسماعيل الأكوع بأنها قرية مشهورة بينابيعها الكبريتية، وهي على بضعة كيلو مترات شمال الشحر. البلدان اليمانية، ص56.

(193) رحلة السيرافي، ص88.

(194) رحلة السيرافي، ص119.

(195) الصفة، ص85.

(196) الصفة، ص85، 169.

(197) الصفة، ص88.

(198) الصفة، ص88 – 89.

(199) الصفة، ص211.

(200) الحموي، معجم البلدان، 1/ 97.

(201) المسالك والممالك، 2/ 606.

(202) معجم البلدان، 3/ 397.

(203) مسالك الابصار، 4/ 250.

(204) مسالك الابصار، 4/ 263.

(205) مجهول، ص172.

(206) معجم البلدان، 3/ 327.

(207) آثار البلاد، ص36.

(208) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص282.

(209) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص294.

(210) الوَزِف أو الوُزِف: نوع من الأسماك الصغيرة تختلف حسب البلدان، يتم الحفاظ عليها بسهولة بالتجفيف في الشمس، يسمى بالوزف نظرًا لسرعته وكثرة حركته لأنّ أصل التسمية من فعل وَزَفَ. انظر: شمسان، طاقم البيوكيميائية للأسماك.

(211) صورة الأرض، 2/ 328.

(212) معجم البلدان، 3/ 327.

(213) رحلة السيرافي، ص119.

(214) تاريخ المستبصر، ص282.

(215) تاريخ المستبصر، ص282.

(216) تاريخ المستبصر، ص16.

(217) تاريخ المستبصر، ص16.

(218) انظر: ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص103.

(219) نزهة المشتاق، 1/ 55.

(220) رحلة السيرافي، ص119.

(221) الصفة، ص134.

(222) أحسن التقاسيم، ص97.

(223) معجم ما استعجم، 2/ 455.

(224) نزهة المشتاق، 1/ 56.

(225) المسالك والممالك، 1/ 362.

(226) رحلة السيرافي، ص88.

(227) رحلة السيرافى، ص118 – 119.

(228) صورة الأرض، 1/ 38.

(229) معجم البلدان، 3/ 327.

(230) النَّجابَةُ مَصْدرِ النَّجِيب من الرِّجَال، وَهُوَ الكريمُ ذُو الحسَب إذا خَرج خُروج أَبيه فِي الْكَرم، وَالْفِعْل نَجُب يَنْجُب نجابَةً، وَكَذَلِكَ النَّجابَة فِي نَجَائِب الْإِبِل، وَهِي عِتاقها الَّتِي يُسابَقُ عَلَيْهَا. الهروي، تهذيب اللغة، 11/ 86. ويقول صاحب لسان العرب: ((والنجيب من الإبل، والجمع النجب والنجائب، وقد تكرر في الحديث ذكر النجيب من الإبل، مفردا ومجموعا، وهو القوي منها، الخفيف السريع، وناقة نجيب ونجيبة، وقد نجب ينجب نجابة)). انظر: ابن منظور، 1/ 748.

(231) رحلة السيرافى، ص 119.

(232) الإبل البجاويّة منسوبة إلى البجاء، وهم أمم عظيمة بين العرب والحبش والنوبة. ياقوت، معجم البلدان، 1/ 339.

(233) الصفة، ص85.

(234) مجهول، ص173.

(235) المسالك والممالك، ص192.

(236) المسالك والممالك، ص147 – 148.

(237) البلدان، ص210 – 211.

(238) رحلة السيرافى، ص118 – 119.

(239) المسالك والممالك، 1/ 200.

(240) المسالك والممالك، 1/ 361.

(241) المسالك والممالك، 1/ 361 – 362.

(242) (اللبان) نَبَات من الفصيلة البخورية، يفرز صمغا، وَيُسمى الكندر. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، د. ت، 2/ 814. والكندر تسمية فارسية للبان، وبالعربية لبان. تيمور، معجم تيمور الكبير، 5/ 279.

(243) السيرافي، رحلة السيرافي، ص88؛ الهمداني، الصفة، ص200؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص52.

(244) المسالك والممالك، 1/ 361 – 362.

(245) اللك: صبغ أحمر يصبغ به جلود البقر للخفاف والثياب، وهو معرب. الفراهيدي، العين، 5/ 280.

(246) المُقْل: حَمْلُ الدَّوْم. والدوْمُ: شجرةٌ تشبه النَّخلة في حالاتها. ويقَالَ إن المُقْل هو الكُنْدُر الَّذِي تتدخّن بِهِ الْيَهُود، ويُجعَل فِي الدَّواء. الهروي، تهذيب اللغة، 9/ 151.

(247) القلقل: نبت له حب أسود حسن الشم يقرب شجره من الرمان، عوده أحمر، وفروعه تمتد كثيرا، يحمل حبًا مستديرًا أكبر بقليل من

الفلفل، وله ورق أغبر أملس كأنه ورق القصب، ينبت في حبات كأنهن العدس، وهو أصلب الحبوب. وقيل حبه كاللوبياء؛ وهو القلقلان والقلاقل. أو هما نبتان آخران؛ أو هما حبة برية كالسمسم. أحمد رضا، معجم متن اللغة، 4/ 638.

(248) القسطل: شَجر من الفصيلة البلوطية لَهُ ثَمَر كثير النشاء يُؤْكَل مشوِيًّا وَيُعرَف فِي مصر بـ (أبي فَرْوَة). إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، 2/ 734.

(249) الصفة، ص201.

المصادر والمراجع:

1- **أحمد رضا**، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1379هـ/ 1960م.

2- **أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)** بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.

3- **الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت: 560هـ)**، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ.

4- **الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي بالكرخي (ت: 346هـ)**، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت.

5- **الأكوع، إسماعيل بن علي**، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م.

6- **البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: 487هـ)**، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.

7- **تيمور، أحمد بن إسماعيل بن محمد (ت: 1348هـ)**، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، المحقق: دكتور حسين نصّار، ط2، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1422هـ/ 2002م.

8- **الحازمي، زين الدين أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني (ت: 584هـ)**، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د. ب، 1415هـ.

9- **الحداد، علوي بن طاهر**، الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها، تحقيق: محمد أبوبكر باذيب، ط1، دار الفتح، الأردن، 2017م.

10- **ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي النصيبي البغدادي (ت: 367هـ/ 977م)** ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.

11- **ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: نحو 280هـ)**، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، 1889م.

12- **الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ)**، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: د. أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1319هـ/ 1999م.

13- **ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى (ت: 685هـ)**، الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل القرني، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

14- **السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله**، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت – معجم جغرافي، تاريخي، أدبي، اجتماعي –، ط1، دار المناهج، بيروت، 1425هـ/ 2005م.

15- **السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت: 562هـ)**، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1382هـ/ 1962م.

16- **السيرافي، أبو زيد حسن بن يزيد (ت: بعد 330هـ)**، رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999م.

17- **شمسان، ابتسام فيصل**، طاقم البيوكيميائية للأسماك المجففة (وزف) في اليمن، مجلة جامعة الملك عبد العزيز- علوم البحار، العدد(28)، جدة، يناير 2018م.

18- **العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي (ت: 380هـ)**، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، دار النظام، دمشق، 2006م.

19- **الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ)**، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د. ت.

20- **ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف ب (ت: 365)**، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ/ 1996م.

21- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ)**، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت.

22- **ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت: 690هـ/ 1291م)**، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستنصر، اعتنى بتصحيحها: أوسكر لو فقرين، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ/ 1986م.

23- **مجهول (ت: بعد 372هـ)**، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423هـ.

24- **المركز الوطني للمعلومات**، التقسيم الإداري لمحافظة حضرموت، مديرية الشحر، 2010م.

25- **المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت: 380هـ/ 990م)**، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، ليدن، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/ 1991م.

26- **الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت: 611هـ)**، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ.

27- **الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: 370هـ)**، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، 2001م.
28- **الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ابن الحائك (ت: 334هـ)**، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، 1884م.
29- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ)**، معجم البلدان، ط3، دار صادر، بيروت، 1995م.
30- **اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: بعد 292هـ)**، البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

Hadhrami Cities and Towns in the Writings of Travelers and Geographers (-7th Century AH/9th-13th Century AD)

Taha Hussein Hadil

Abstract

This study explores the history of Hadhrami cities and towns as documented in the writings of travelers and geographers from the 3rd to the 7th century AH (9th to 13th century AD). These accounts serve as major sources that are indispensable for any historian seeking to write about the past. In addition, they reflect the lived experiences of the people who inhabited and worked in these cities and towns. This research aims to delve into the works of these writers, who often focused on aspects of daily life, culture, social structures, customs, and economic foundations, rather than political events. The study also examines the geographical characteristics, architectural styles, and economic features of these cities and towns. Notably, most of the travelers and geographers did not reach the regions and cities they wrote about, but they relied on different and varied sources for their information, including the writings of those who preceded them from historians, travelers, geographers, geographers, genealogists, linguists and others, and those they met from the inhabitants of those regions in some trading stations, Hajj and Umrah seasons, markets, mosques and other places, in addition to those who visited them from among the merchants, sheikhs, scholars and students of knowledge. They formed a source of their information by virtue of their residence and association with the communities of those cities and towns.